

5

سلسلة الدراسات التوثيقية

عبد الباقي عبد الغني

سيرة ومحطات



الطبعة الأولى 2022م

عبد الباقي عبد الغني - سيرة ومحطات

القارئ الكريم:

سلسلة الدراسات التوثيقية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمة للبحث العلمي في مجال الدراسات والبحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تتمن دار آريثريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتمع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائماً - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arithria for Publishing and Distribution

سلسلة الدراسات التوثيقية (5)

عبد الباقي عبد الغني سيرة ومحطات

إشراف

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد - د. عوض شبا

الطبعة الأولى - 2022م

الكتاب: عبد الباقي عبد الغني - سيرة ومحطات
تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود

حقوق النشر محفوظة للدار

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الدار.

إن دار إريثريا للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء المؤلفين وأفكارهم، وتعتبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلفين ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع

Arrythria for Publishing and Distribution

جوال : 00249910785855 - 00249121566207

arithriaforpublishing@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

(التوبة - 105)

الفهرست

الفصل الأول:

ملحات من سيرة البروفسور عبد الباقي عبد الغني بابكر 7

الفصل الثاني:

قراءة في البحث العلمي للأستاذ الدكتور/ عبد الباقي عبد الغني بابكر 15

الفصل الثالث:

الإنجازات الإدارية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر 43

الفصل الرابع:

الأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر 59

الفصل الأول

لمحات من سيرة البروفسور

عبد الباقي عبد الغني بابكر

لمحات من سيرة البروفسور عبد الباقي عبد الغني بابكر

أ.د. الرشيد الحبوب محمد الحسين كلية التربية - جامعة الخرطوم

مقدمة:

إن المرء عندما يطلع في السيرة الذاتية، والعلمية والمهنية لكبار العلماء يحتار وينبهر ولا يعرف من أين يبدأ وأين ينتهي. إنه لشرف عظيم لي أن يطلب مني أن أكتب عن سيرة أستاذ الجيل الأستاذ البروفيسور/ عبد الباقي عبد الغني بابكر. انه أستاذي في مرحلة البكالوريوس في المقام الأول، وقد كان نعم الأستاذ والمعلم الذي حُبب إلينا علم الجغرافيا وحُبب علم الجغرافيا إلينا. قبل التعليق على سيرة أستاذنا البروفيسور/ عبد الباقي، لابد من كلمة في حقه من ناحية الصفات الشخصية والعلمية والمهنية التي يمتاز بها، والتي في ظني هي التي كانت السبب وراء كل ما أعطى من علم ومعرفة لطلابيه والآخرين. بحكم معرفتي للصيقة بأستاذنا الكريم أيام الدراسة الجامعية في مرحلة البكالوريوس وبحكم زمالتي له أستاذاً بعد سنوات، فقد لمست في أستاذنا العديد من الخصال والصفات التي قلما تجتمع في شخص واحد. انه كان دائب النشاط داخل قاعات الدراسة وخارجها، كان مخلصاً في كل ما يعمل، كان متقناً لكل الأعمال، كان صبوراً مثابراً لا يعرف الكلل والملل، كان يملك الجرأة والمبادأة والمبادرة، كان يعرف كيف يتعامل مع الناس بكل اللباقة واللفظ ومن غير تكلف، وكان رياضياً من الطراز الأول.

ليس غريباً على أستاذنا الفاضل أن نلمس فيه كل هذه الخصال والصفات العلمية والمهنية والشخصية والذاتية، حيث ان كل هذه الصفات لم تأت من فراغ، وليست وليدة الصدفة إذا علمنا أن البروفيسور/ عبد الباقي قد كانت له كل تلك الخبرات والتجارب وهو ذلك المعلم في المدارس الوسطى في الستينات قبل التحاقه

بمعهد المعلمين العالي. كانت المدارس في ذلك الوقت مكاناً خصباً يتعلم المعلمون فيه من بعضهم البعض، ومن خلال الأجواء المدرسية التي كانت تعج بالنشاط المدرسي، الأمر الذي انعكس في اكتشاف المواهب والقدرات، ليس فقط لدى التلاميذ، بل المعلمين أيضاً. كان المعلم ومنهم أستاذنا، يقود العملية التربوية والتعليمية وكل أوجه النشاط المدرسي الهادف. تلك الأجواء المدرسية المواتية هي التي صقلت مقدرات ومهارات أستاذنا الكريم.

أضف إلى كل ذلك خبراته الجمة التي اكتسبها من خلال وجوده في ألمانيا عندما كان يحضر رسالته للماجستير والدكتوراه. بحق وحقيقة كانت الفترة تمثل عاملاً مهماً في اكتساب أستاذنا لكل الصفات والصفات التي ذكرت، حيث توفرت المعرفة وسبل الحصول عليها، سواء كان ذلك من خلال العمل الجامعي في مجال البحث العلمي، أو خارجه في المجتمع الألماني ككل. لا شك أن وجود أستاذنا في ألمانيا في تلك الفترة كان له الأثر البالغ في توسيع خبراته وقدراته ومهاراته العلمية، والمهنية، والشخصية، وذلك لتوافر الامكانيات والعينات العلمية والبحثية في جامعات ألمانيا العريقة. يضاف إلى كل ذلك احتفال أستاذنا الفاضل بالمؤسسات العلمية والبحثية خارج السودان، وعلى وجه الخصوص السنوات الخمس التي قضاها في جامعة محمد بن سعود الإسلامية في السعودية على سبيل الاعارة.

هذا قليل من كثير يمكن أن يقال عن أستاذنا/ عبد الباقي وخصاله وصفاته التي تميز بها حتى أصبح معروفاً بها.

أما عن مؤهلات أستاذنا العلمية، فهي عديدة فهي عديدة، ومنها دبلوم معهد المعلمين العالي عام 6691م مع التميز الأكاديمي والمهني. ومعهد المعلمين في ذلك الوقت كان معلماً وصرحاً علمياً خدم التربية والتعليم في السودان والدول المجاورة ولا سيما الخليجية، كما خرج أكفأ المعلمين للمرحلة الثانوية والذين هم أصلاً متفوقون من الشهادة السودانية، ومن بين الأوائل من بين خريجي المعهد الذين ابتعثوا للتخضير لدرجتي الماجستير والدكتوراه في (الجغرافيا)، ولقد تحصل أستاذنا على تلك الدرجات العلمية من واحدة من أعرق وأشهر الجامعات الألمانية في الأعوام 1971م - 1974م بتقدير ممتاز. مما ميز رسالته للدكتوراه عام 1974م أنها كانت إطار (التنمية الإقليمية)، وهو مجال حيوي كان السودان وغيره من الدول النامية في أمس الحاجة إليه.

هذا بالإضافة إلى العديد من الدورات التدريبية التي التحق بها في الفترة الممتدة من 1973م حتى 2011م، والتي من أهمها: دورة الوسائل السمعية والبصرية بجامعة مارتن لوثر Martin Luther بألمانيا عام 1973م، ودورة الاستشعار عن بعد بقسم الجغرافيا بجامعة هامبورج بألمانيا عام 1981م، ودورة نظم المعلومات الجغرافية بمؤسسة SETEX بالخرطوم في فبراير 2002م، ودورة ضمان الجودة في التعليم العالي بوكالة ضمان الجودة في المملكة المتحدة (QAA "Quality Assurance Agency") في أكتوبر 2004م. وفي جامعة هارفارد الأمريكية التحق أستاذنا بدورات متميزة ببرنامج وايد وورلد بكلية الدراسات العليا في مجال: التعليم من أجل الفهم والاستيعاب (1) و (2) Teaching for Understanding، ودورة القيادة من أجل الفهم (Leading for Understanding) وحصل علي إجازة مدرّب في المجال وكان ذلك في الفترة ما بين 2008م حتى 2011م.

إن الحضور والمشاركة الفاعلة لأستاذنا في تلك الدورات التدريبية المذكورة إن دلت على شيء انما تدل بكل وضوح على شغف أستاذنا الفاضل وسعيه الدؤوب لتطوير نفسه علمياً ومهنياً. يتضح ذلك في اختياره للدورات وأهميتها وارتباطها بالواقع التربوي والتعليمي في مدارس وجامعات السودان وغيرها من المؤسسات الأخرى ذات الصلة والرسالة المهنية. من أكثر الجوانب التدريبية التي اهتم بها أستاذنا الفاضل تلك المتعلقة بالجودة وضمان الجودة في التعليم العالي بصفة عامة، وجامعة الخرطوم بصفة خاصة. كان ذلك نتيجة لإيمان بروفييسور/ عبد الباقي بأن ترقية العملية التعليمية، وخاصة في الجامعات لا يمكن أن تتم إذا لم يكن اهتمام زائد بهذا الجانب المتعلق بالجودة وضمان الجودة وعمل الشيء الصحيح بشكل صحيح من أول مرة وفي كل مرة من المرات.

نالت التقنيات التعليمية نصيبها من مجهودات أستاذنا الكريم، ويرجع ذلك الى فترة بعيدة ترجع الى عام 1973 حيث حصل على دبلوم الوسائل السمعية والبصرية من جامعة مارت لوثر Martin Luther بألمانيا. كذلك أولى أستاذنا اهتماماً كبيراً بموضوع الاستشعار عن بعد في وقت يعود إلى عام 1981م، وحينها لم يكن هذا الموضوع يلقى الاهتمام الكافي من ناحية، كما لم تبلور تطبيقاته وفوائده التنموية المختلفة فيم جال الزراعة والصناعة والبنى التحتية. والجدير بالذكر أن السودان في تلك الفترة كان في غاية الحاجة لمثل تلك التقنيات، والتي كانت سبباً في تقدم ورقي الدول الأوروبية والأمريكية.

في الفترة الممتدة من عام 1961م وحتى 2000م تحصل أستاذنا بجدارة على العديد من المنح العلمية، كان أولها ابتعائه الى معهد تدريب المعلمين العالي لنيل دبلوم المعهد. ثم منحة المعهد للدراسة في جامعة مارتين لوتر بألمانيا عام 1969م للدراسة لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه في الجغرافيا. نال منحة من برنامج التبادل الألماني (DAAD) لإقامة بحثية في قسم الجغرافيا بجامعة هامبورج في ألمانيا. كما نال زمالة جامعة الأمم المتحدة لإقامة بحثية في كلية سوانزي الجامعية Swansea ببريطانيا عام 1981م. بالإضافة الى ذلك كان حصوله علي الزمالة الرفيعة لمؤسسة الإكسندر فون هومبولت الألمانية وقضاها بين جامعتي هامبورج وبايرويت. مابين 1982 و 1983.

Fellowship of Alexander von Humboldt- Stiftung Germany

ان الناظر الى تلك المنح العلمية المذكورة، والتي كانت في مؤسسات علمية وبحثية مرموقة لابد أن يخرج بانطباعات قوية تؤكد أن تلك المنح المقدمة قد ذهبت الى الشخص المناسب والمؤهل والذي يستحقها. الجدير بالذكر أن مثل تلك المنح في تلك الفترات التي تعود الى السبعينات والثمانينات من القرن الماضي لم يكن تقدم إلى أي شخص إلا المبرزين والمتميزين من العلماء. أضف إلى ذلك أن تلك المنح كانت مقدمة من مؤسسات علمية وبحثية مرموقة في ألمانيا وبريطانيا. ولعل مردود تلك المنح والفوائد المجنية منها قد انعكست في الانتاج العلمي أكثر لأستاذنا في الفترات اللاحقة.

كما كانت جدارة وحرفية ومهنية أستاذنا في النواحي العلمية وخاصة في مجال علم الجغرافيا، كانت براعته واضحة عند تقلده للعديد من الوظائف العلمية بجامعة الخرطوم وغيرها من الجامعات والمؤسسات. فقد عمل مساعداً للتدريس بقسم الجغرافيا بمعهد المعلمين العالي عام 1969م، ثم محاضراً بقسم الجغرافيا بكلية التربية بجامعة الخرطوم في الأعوام 1974-1978م. ترقى الى درجة الأستاذ المشارك بجامعة الخرطوم عام 1978م. نال درجة الأستاذية نيلاً مستحقاً بجامعة الخرطوم عام 1990م وحتى الآن.

فيما يخص المناصب الإدارية العديدة التي تقلدها أستاذنا بروفيسور عبد الباقي يمكن أن نذكر على وجه الإجمال: رئاسة قسم الجغرافيا بكلية التربية جامعة الخرطوم وجامعة محمد بن سعود الإسلامية بفرع الجنوب أبها خلال الفترة 1988م - 1995م. تقلد عمادة كلية التربية جامعة الخرطوم في فترة عصيبة عام 1990-1993م. في

العام 1993م كانت جامعة وادي النيل الناشئة في حاجة ماسة لمن يديرها ويؤسس لها، وبالطبع وقع الاختيار على أستاذنا/ عبد الباقي وصار مديراً لها في الفترة من 1993-1996 ثم مديراً للتعليم الأهالي والاجنبي بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي. تجدر الإشارة الى أن المتأمل في المناصب الادارية والعلمية التي تقلدها أستاذنا أن جميع تلك المناصب والتكليفات جاءت في أوقات عصيبة من تاريخ التعليم في السودان، وكانت هناك العديد من المعوقات والتحديات، اضافة متغيرات كثيرة متلاحقة ومتزايدة وفي نفس الوقت ضاغطة. هذا كله حتم الادارة والتخطيط السليمين الشيء الذي توفر في أستاذنا، ولهذا كانت الفترة التي قضاها متولياً تلك المناصب فترة تمت فيها الكثير من المعالجات والاصلاحات والتأسيس للمستقبل. ومن الأعمال التي يحمد أستاذنا عليها أعماله واهتماماته بتأسيس مؤسسة للتقويم والاعتماد بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الأعوام 2003-2006م، انتقل بعدها للعمل عميدا لكلية التربية بالجامعة العربية المفتوحة بالكويت ثم مستشارا للجامعة المفتوحة لضمان الجودة خلال الفترة 2006-2012م.

عندما ينظر المرء إلى سلسلة التدرج العلمي والاداري والوظيفي لأستاذنا الفاضل يلحظ مدى الجدارة والحرفية والمهنية. كان كل ذلك بفضل الصفات والخصال التي تمتع بها أستاذنا الكريم، بالإضافة إلى تمكنه من مجال تخصصه وخبراته السابقة التي تم ذكرها. لقد كان أستاذاً مشهوداً له بالكفاءة والمعرفة في مجال الجغرافيا البشرية، ولعل خير شاهد على ذلك رسالته المميّزة للدكتوراه والتي كانت في مجال (التنمية الاقليمية). ظهر كل ذلك جلياً خاصة في فترة عمله مساعداً للتدريس ومحاضراً في السبعينيات، أي بعد أن آل معهد المعلمين إلى جامعة الخرطوم وأصبح كلية للتربية. كان قسم الجغرافيا ساعته في حاجة ماسة إلى التطوير والتحديث من جميع النواحي التدريسية واصلاح بيئة التعليم. لهذا يشهد لأستاذنا الفاضل بدوره الفاعل والمقدر الذي قام به في ترقية القسم من النواحي العلمية والإدارية.

بقدر ما قدم لكلية التربية بجامعة الخرطوم من خدمات، ساهم مساهمة معتبرة عندما كان أستاذاً معاراً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1983-1988م، خاصة في مجال التدريب والبحث العلمي والاشراف على البحوث ورئاسة اللجان العلمية والفنية. بنفس الهمة والنشاط كانت بصماته واضحة عندما تقلد منصب مدير جامعة وادي النيل الناشئة، والتي كانت في حاجة ماسة للتأسيس العلمي

والاداري. لاحداث كل ذلك وقع الاختيار على البروفيسور/ عبد الباقي في الفترة من (1993-1995م).

في مجال النشاط الأكاديمي، وفي الفترة الممتدة من عام 1974م وحتى الآن، فلأستاذنا العديد والعديد من الاسهامات والنشاط الأكاديمي المتميز عضويته الفاعلية في مجالس الأقسام بكلية التربية ومجلس البحث العلمي والكلية ومجلس أساتذة جامعة الخرطوم واللجنة الاستشارية بجامعة الخرطوم والجمعية الجغرافية السودانية ومجموعة العمل في ادارة الموارد في الأراضي القاحلة. بالإضافة الى عضويته العديد من لجان تطوير التعليم بوزارة التربية، ورئاسته للمنتدى التربوي لعمداء كلية التربية في السودان. ووضعا في الاعتبار ان تلك الفترات التي تقلد فيها أستاذنا تلك المناصب قد اعترتها العديد من الصعوبات، والتحديات في نواحي الطلاب والبنية التعليمية وما يلزمها من معينات مالية وقد كانت جد شحيحة. رغم تلك الظروف والملايسات فقد استطاع أستاذنا بحكمته ورويته الادارية ساعدته في كل ذلك مهاراته وخبرته الادارية الواسعة في مجالات التخطيط والتنظيم والتوجيه والتنسيق والاشراف، والتقويم، واتخاذ القرارات السليمة لكل ما حوته جداول الأعمال.

ومن اسهامات أستاذنا المقدرة رئاسته للجنة اليونسكو الاقليمية لتقويم ومعادلة واعتماد لشهادات في الدول العربية، خلال الأعوام 2000-2006م.

بالإضافة الى رئاسته الحكيمة لأكاديمية تمهين مهنة التدريس في السودان في الأعوام 2005-2006م، وغيرها من اللجان والمجالس والمراكز بجامعة الخرطوم وغيرها من الجامعات والمؤسسات العربية والاقليمية التي تعنى بقضايا التعليم. صاحب كل ذلك مشاركته المستمرة والفاعلة في المؤتمرات وورش العمل الخاصة بتطوير التعليم، والتي فاق عددها 140 لقاء كان 79 منها على النطاق العالمي.

في جانب الاشراف العلمي على رسائل الماجستير والدكتوراه، يكفي القول أن أستاذنا قد أسهم اسهاماً كبيراً في دفع عملية البحث العلمي وتدريب طلاب الدراسات العليا في أوقات كانت الحاجة فيها الى التدريب الداخلي أو المحلي بجامعة الخرطوم أو غيرها من الجامعات. أشرف أستاذنا على 19 رسالة دكتوراه و34 رسالة ماجستير، وجميعها كانت متميزة ودارات موضوعاتها على قضايا كانت في حاجة الى حلول ومعالجات.

بالإضافة إلى هذا كله، كان له القدر المعلى في جوانب الاستشارات الفنية والعلمية لوزارة التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي، والمكتب الإقليمي العربي ليونسكو، والبنك الدولي.

للبروفيسور/ عبد الباقي العديد والعديد من المساهمات الفاعلة في مجال الاستشارات الفنية على مستوى وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وكذلك منظمة اليونسكو، بالإضافة إلى التعاون مع بنك التنمية الإفريقي. ففي العام 1993م شارك مع طاقم التقويم لمعاهد تدريب المعلمين في السودان. ومن مساهماته الكبيرة في دراسات اليونسكو دراسته التقييمية لواقع الآليات المستخدمة في ضمان الجودة في كليات التربية في الدول العربية. في عام 2011م أنجز دراسته المميزة عن التعليم العالي وتطبيقات الجودة. وفي العام 2015م خرجت دراسته عن ضمان الجودة في السودان من حيث المفهوم، والتطور، والعمليات، والتحديات. كانت الدراسة بطلب من المكتب الإقليمي لليونسكو بالدول العربية. وبطلب من المكتب الإقليمي للدول العربية أتم بروفيسور عبد الباقي دراسته عن ضمان جودة أداء مؤسسات التعليم العالي في الدول العربية. كان ذلك في العام 2016م، وكان ذلك بمعاونة اثنين من الباحثين. للبروفيسور/ عبد الباقي العديد من المنشورات والبحوث المتميزة، وقد بلغت حوالي 51 بحثاً منشوراً و27 بحثاً غير منشور، بالإضافة إلى 15 كتاب في التربية، والجغرافيا والدراسات البيئية. جميع البحوث تم نشرها في مجلات محلية، وإقليمية وعالمية مرموقة وذات تأثير عالٍ. تميزت البحوث المنشورة بحسن اختيار موضوعات الأبحاث مع مراعاة حاجة المجتمعات وواقعها واحتياجاتها والمهددات المحيطة. كما اتسمت بالوضوح في أهدافها، ومنهجيتها، ونتائجها وتوصياتها.

تواصل عطاء البروفيسور/ عبد الباقي إلى جانب أبحاثه القيمة وفيما ألف من كتب لامست حاجة المؤسسات في التعليم العام والعالي، والتقويم والاعتماد لها ولبرامج إعداد وتدريب المعلمين، وضمان الجودة في مؤسسات إعداد المعلمين. من أميز الكتب التي ألفها أستاذنا لتناسب التعليم المفتوح كتب الجغرافيا المصممة لتناسب التعليم المفتوح المقدم من وحدة التعليم المفتوح وكذلك جامعة وادي النيل، والتي تم نشرها بمركز جرش بالأردن عام 2002م. هذا بالإضافة إلى الكتب التي تناولت الجغرافيا والدراسات البيئية المضمنة في كتب الجغرافيا للمرحلة الثانوية. تناولت تلك الكتب

أساسيات الجغرافيا والخرائط والجغرافيا الإقليمية في السودان، والاستشعار عن بعد،
والجغرافيا الاقتصادية والمشكلات العالمية.
بالإضافة الى تأليف الكتب كان لبروفيسور/ عبد الباقي باعٌ واسهام كبير في مجال
ترجمة بعض الكتب من الألمانية إلى العربية في مجال التصحر: أسبابه وآثاره.
يحمد للبروفيسور/ عبد الباقي مراجعته وتقويمه الدقيق للكتب التي تم نشرها
في مجلات ألمانية مرموقة وعريقة.
بالنظر الى هذه السيرة العامرة والمليئة بالإنجاز والعطاء، يتضح مدى حجم
مساهمة البروفيسور/ عبد الباقي للوطن والعلم وطلابه الكثر. نسأل الله له الصحة
والعافية وطول العمر.

الفصل الثاني

**قراءة في البحث العلمي
للأستاذ الدكتور / عبد الباقي عبد الغني بابكر**

قراءة في البحث العلمي

للأستاذ الدكتور / عبد الباقي عبد الغني بابر

أ.د. سمير محمد علي حسن الرديسي*
قسم الجغرافيا
كلية التربية - جامعة الخرطوم

مقدمة:

إن إرتأى المرء رؤية علميةً حسيّةً يرى مشهداً ذاخر بالجهود العلمية القيّمة للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابر في مجالي علم الجغرافيا والعلوم التربوية، كتابةً للأوراق العلمية والمقالات وتالياً للكتب المنهجية الجامعية والمدرسية في فترة زمنية تقرب من نصف قرن من الزمان (1974-2021). يهدف هذا المقال لإجراء قراءةً استطلاعية تحليلية لهذه الجهود العلمية المتكاملة بهدف توضيح قيمتها العلمية والتطبيقية في طرح ومناقشة قضايا السودان البيئية والتنمية وقضايا التعليم العام والعالي في السودان والعالم العربي، وفي مدى مساهمتها في تطوير المناهج الجامعية والمدرسية مواكبةً لمستجدات البحث العلمي. شملت مصادر البيانات كل من السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابر، وبحوثه المنشورة في المجلات العلمية باللغات العربية والإنجليزية والألمانية، والمقابلة الشخصية معه بتاريخ 7 ديسمبر 2021. اتبع الكاتب منهجاً استطلاعياً - تحليلي Exploratory-Analytical Approach اعتبره الأنسب للتعرف على ملامح وخصائص تلك المساهمات العلمية. اتضح وجود جهود علمية مقدرة في موضوعات وقضايا علوم الجغرافيا والتربية مما يسهم في مناقشتها والاستفادة منها في حل قضايا السودان والعالم العربي.

* أحد طلاب الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابر في الفترة من ١٩٧٩-١٩٨٣، ثم زميلاً له في قسم الجغرافيا فيما بعد.

الخلفية العلمية للباحث وموقعه في المدرسة الجغرافية السودانية؛

بدأ التعليم العالي في السودان عندما تم تحويل كلية غردون التذكارية إلى كلية الخرطوم الجامعية التابعة لجامعة لندن في عام 1951م والتي أصبحت تعرف باسم جامعة الخرطوم منذ 24 يوليو 1956م. تم ادخال برامج الجغرافيا ضمن أقسام كلية الآداب باسم قسم الجغرافيا كأول قسم للجغرافيا في السودان. تخرجت أول دفعة من ذلك القسم بدرجة البكالوريوس عام 1956، وكان يسبق ذلك منح درجة الدبلوم حتى العام 1955م. وبذلك أصبح هذا القسم هو الرافد الرئيس في تأهيل الجغرافيين السودانيين للعمل في قطاعات الخدمة المدنية المختلفة. أما الرافد الآخر في تعليم الجغرافيا فقد كان معهد إعداد المعلمين العالي بأمر درمان والذي تم إنشاؤه بناءً على توصية لجنة دولية لبحث اصلاح التعليم الثانوي والتوسع فيه في فبراير 1955 حيث اوصت فيه وزارة المعارف علي أهمية إنشاء معهد عالي لتدريب المعلمين لسد النقص في المدارس الثانوية وللمقابلة النقص في أعدادهم نتيجة للتوسع في التعليم الثانوي (مقلد، 1973). وقد أنشأ معهد المعلمين العالي بأمر درمان في عام 1961 بمساعدة من منظمة اليونسكو والبنك الدولي وتخرجت الدفعة الأولى في عام 1965 بدرجة الدبلوم بعد دراسة علمية ومهنية امتدت لأربع سنوات. في عام 1968 تم الاتفاق بين وزارة التربية وجامعة الخرطوم علي انتساب المعهد لجامعة الخرطوم أكاديمياً حيث آل الإشراف الأكاديمي الي مجلس أساتذة جامعة الخرطوم وأصبحت الجامعة تمنح الدرجات الجامعية للخريجين اعتباراً من عام 1971 بينما ظل الإشراف الإداري تحت مسؤولية وزارة التربية. وفي عام 1974 اكتمل ضم المعهد الي جامعة الخرطوم وتغير اسمه إلي كلية التربية حيث آل لها جميع مسؤوليات وممتلكات معهد المعلمين العالي (الرديسي، 2020). وبذلك أصبح لجامعة الخرطوم رافدين لتأهيل الجغرافيين في السودان بقيا على هذا الوضع حتى تم تطوير قسم الجغرافيا في كلية الآداب إلى كلية علوم الجغرافيا والبيئة، بينما ظل القسم في كلية التربية يقوم بمهامه الأساسية التي لم يطرأ عليها أي تغيير.

تخرج الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في معهد المعلمين العالي عام 1966م ضمن الدفعة الثانية من خريجي المعهد. وتم تعيينه مساعداً للتدريس في قسم الجغرافيا لتفوقه الأكاديمي حيث حصل على شهادة الدبلوم بالتميز الأكاديمي والمهني (with academic and professional distinction). ويعتبر خريجو قسمي

الجغرافيا في جامعة الخرطوم ومعهد إعداد المعلمين العالي في أوائل ومنتصف ستينات القرن الماضي، والذين تم استيعابهم للعمل في ذلك القسمين وأبتعثوا للتأهيل الأكاديمي خارج السودان، بمثابة الرعيل الأول من الجغرافيين السودانيين الذين حلّوا محل الأساتذة الأجانب من الإنجليز والمصريين. وقد أسهموا مساهمة كبيرة في التوسع في القبول للتعليم الجغرافي الجامعي في البلاد. وبدأ أولئك الجغرافيون بالعمل في جامعة الخرطوم منذ أوئل ومنتصف السبعينات وكان من ضمنهم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر وذلك في عام 1974، بعد إكماله درجتي الماجستير والدكتوراه في الجغرافيا البشرية حيث تخصص في التنمية الإقليمية Regional Development بجامعة مارتن لوثر (Martin Luther University, Halle) في ألمانيا.

مجالات وملاح البحث العلمي :

شمل البحث العلمي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر جانبي علوم الجغرافيا والتربية. ففي جانب علم الجغرافيا اهتم بقضايا التنمية الإقليمية وبالتحديد القضايا ذات الصلة بالبيئة والتنمية بجانب تأليفه للكتب المرجعية الجامعية. وفي جانب العلوم التربوية اختص في كتاباته بموضوعات وقضايا التعليم العالي وأساليب تطويره وبتأليفه للكتب المرجعية الجامعية لطلاب التعليم النظامي وطلاب التعليم الجامعي المفتوح. وعلى نفس النسق كتب عن قضايا التعليم العام وأساليب تطويره وتأليفه للكتب المدرسية المنهجية. تمت هذه الجهود من خلال الأوراق العلمية المتخصصة والمنشورة في مجلات علمية عالمية خارج السودان أو مجلات علمية محكمة داخل السودان، أو نشرت في كتب المؤتمرات العلمية والورش داخل السودان وخارجه. وجدير ذكره هنا أن معظم هذه الأعمال البحثية قد تمت عن طريق فرق العمل البحثية وبتمويل من جهات خارجية منها اليونسكو ومنظمة الأمم المتحدة وبعض الجامعات الألمانية وبالتحديد جامعتي بيرويث وهامبورج.

مجالات وملاح البحث العلمي الجغرافي:

بحكم تلقي الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر تأهيله العالي في جامعة مارتن لوثر (Martin Luther University, Halle) فقد صدف ذلك وجود بروفيسور كوبليز Kubler مؤسس المدرسة الجغرافية التي تؤمن بالعمل الميداني وله

مقولة مشهورة « الجغرافيا تحت أقدام البشر ». وعند مجيئه إلى جامعة هامبورج في أوائل الثمانينات وجد شخصية جغرافية أخرى مشهورة هو بروفيسور مينشنغ وتلميذه فؤاد نجيب إبراهيم الذي أصبح «أستاذاً» فيما بعد وأجرى العديد من البحوث في السودان وخاصة عن إقليم دارفور حيث نشر له مؤلف عن التصحر وتأثيراته الجغرافية هناك وقامت دار جامعة الخرطوم بنشره. من الجهات الأخرى الداعمة للموضوعات البحثية للأستاذ الدكتور عبد الغني بابكر تلك العلاقة البحثية المشتركة التي كانت قائمة بين قسم الجغرافيا بكلية الآداب وقسم الجغرافيا بكلية التربية جامعة الخرطوم وبدعم من الأمم المتحدة، حيث استفاد الأستاذ الدكتور عبد الغني بابكر من تلك العلاقة في الذهاب إلى كلية سوانزي الجامعية آنذاك بالمملكة المتحدة وإجرائه عدداً من البحوث اهتمت بالموارد الطبيعية في منطقة جبال النوبة، كما سيأتي ذكره.

لقد أسهمت تلك العلاقات التي كانت قائمة بين جامعة الخرطوم والجامعات الأوروبية والأمريكية في توفير فرص تقوية البحث العلمي لأعضاء هيئة التدريس وخلق علاقات بحثية تبادلية معها خاصة وأن جميعها قد اهتم بقضايا البيئة والتنمية والتي كان السودان في أشد الحاجة لحلها. ولكن أدى انقطاع تلك العلاقة وتحويل المشروعات البحثية الممولة من الخارج إلى المكاتب الاستشارية والمنظمات الطوعية لفقدان أعضاء هيئة التدريس لهذا الرافد التدريبي المهم.

تناول الباحث العديد من الموضوعات الجغرافية التي يمكن وضعها تحت محوري البيئة والتنمية ببعديهما الإقليمي. وهي من الموضوعات المتجددة في البحث العلمي عامة والجغرافي خاصة لارتباطهما بالواقع الاقتصادي- الاجتماعي والسياسي للمجتمعات البشرية المختلفة، إذ أنها تعمل على تحديد أشكال التوطن البشري وأنماطه وطرائق استغلال مكونات البيئة الطبيعية للإيفاء بمتطلبات المعيشة للمجتمعات الريفية والحضرية وما ينجم عن ذلك من مشكلات متعددة الأبعاد.

محور القضايا البيئية ذات البعد الإقليمي:

تُعد دراسات القضايا البيئية أحد الأهداف الرئيسية لدراسة علم الجغرافيا إذ تعمل تأكيده في مقررات مرحلة البكالوريوس وفي بحوث الدراسات ما بعد الجامعية. ونظراً لتعدد البيئات بين بيئة طبيعية وبيئة بشرية تتعدد مجالات الدراسات والبحوث

فيها كما تتجدد موضوعاتها بتجدد مشاكل البيئة نتيجة لاستغلال الإنسان لمواردها المختلفة لمقابلة متطلباته المتجددة والمتزايدة أو نتيجة لسوء استغلاله لها. ويكثر في السودان القضايا البيئية التي منها ما يرتبط بالعوامل الطبيعية فقط أو بالعوامل الطبيعية والبشرية معاً مثل مشكلة الجفاف والتصحر ومنها ما يرتبط بالبيئة البشرية فقط مثل مشاكل النمو الحضري المتسارع أو الزراعة في البيئات الهشة ذات التعرضية العالية للتغيرات المناخية أو تحول المجتمعات الريفية مثل مجتمعات البدو من حياة التجوال إلى الاستقرار أو نتيجة لتطبيق خطط وسياسات التنمية القائمة على التوسع الزراعي للمحاصيل النقدية في بيئات تعتمد على الزراعة بغرض الاكتفاء الذاتي. في خضم هذه القضايا ساهم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر بعدد مقدر من الأوراق العلمية تمحورت حول الجفاف والتصحر وتدهور الموارد الطبيعية والاستدامة البيئية والتأثير البيئي للبداءة. ومنذ منتصف الأربعينات من القرن الماضي هدفت سياسات الأرض التي وضعتها الإدارة الاستعمارية وما تلى من حكومات وطنية إلى تهميش البدويين. فقد أوصى تقرير لجنة حفظ التربة لعام 1944 بوجود منافسة مباشرة بين البدويين الرعاة على الأرض مع المزارعين المستقرين ومن الضرورة أن تعتبر السياسات الحكومية حقوق المزارعين ذات أولوية لأن من ينتجون من محاصيل له عائد أكبر بالنسبة لوحدة المساحة من الأرض. وقد أتبع المخططون الوطنيون أنصار توطين البدو نفس السياسة الذين لم يضعوا اعتباراً كاملاً للبدو. وفي أوائل الستينات تطور الاستثمار في الزراعة المطرية الآلية على حساب معظم الأراضي التي تعتمد عليها مجموعات البدو في معظم أجزاء القطر. وقد تسبب هذا بدوره في خلق الصراعات الحادة بين البدو ومالكي المشاريع الزراعية والمجتمعات المستقرة القريبة لمناطق الرعي. وقد تفاقم الوضع أكثر بنشوب الحرب الأهلية التي أنكرت على البدو الحركة التي اعتادوا عليها صوب الجنوب للوصول الى المراعي (Casciarri, et al., 2009). كتب الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر عدة أوراق علمية تعالج موضوع الجفاف والتصحر في السودان وشرح العوامل الطبيعية والبشرية المسببة له وتأثيره على العمران الحضري. فقد أشارت مختلف الدراسات إلى أن حوالي 120 مليون هكتار من الأراضي ، متضمنة 64 مليون هكتار من التربة، قد تدهورت بدرجات مختلفة وتعتبر النطاقات الأكثر تدهوراً هي النطاقات الجافة وشبه الجافة حيث يعيش 70 % من سكان السودان (Ayoub.1998). ويؤدي التصحر الذي تتكرر حدوثه في النطاق الجاف

من السودان الذي يقع ضمن منطقة الساحل الأفريقي إلى خلخلة النظام الاقتصادي الريفي القائم على الزراعة المطرية التي تشكل 60 % من الأراضي المزروعة وتوظف 65 % من السكان العاملين في الانتاج الزراعي إلا أن العائدات والانتاجية مهددة بالجفاف والصراعات المدنية ولذلك تساهم بحوالي 16 % فقط من مجمل الناتج القومي الزراعي في العقود الأخيرة (Khalid et al., 2012). انعكس ذلك على المجتمعات الريفية نفسها وعلى المناطق الحضرية القريبة والبعيدة وكان أكثرها تأثراً ولاية الخرطوم وهو ما كتب عنه الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر. لقد تضاعف عدد سكان ولاية الخرطوم 140 مرة خلال الفترة من 1905-2000 وتضاعفت المساحة المعمورة 250 مرة خلال نفس الفترة. وفي حين يتضاعف عدد السكان على المستوى القومي 12 مرة يتضاعف عدد سكان الخرطوم 50 مرة. وشكل سكان إقليم الخرطوم 50.4 % من نسبة سكان الحضر في السودان في عام 1956، ثم 74.4 % في عام 1983، ثم 81.1 % عام 1990 (Abu Sin, et al., 1991). أدى ذلك لتسارع النمو الحضري وظهور المناطق العشوائية في أطراف المدن والضغط على الخدمات المحدودة في تلك المراكز الحضرية. كما تسبب التصحر في تغيير التركيبة السكانية من حيث النوع والعرق ونتج عنه كثير من المشكلات الحادثة والمستمرة. ومن القضايا البحثية المهمة التي تطرق لها الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر موضوع استخدامات الأرض الزراعية وتدهور الموارد الخشبية في جبال النوبة. ففي المناطق الريفية يعتمد المواطنون على مثل هذه الموارد لمقابلة الطلب على الوقود المنزلي وبناء المساكن خاصة وأن هذه المناطق يصعب الوصول إليها بوسائل المواصلات الحديثة بجانب ضعف المستوى الاقتصادي للسكان لمقابلة الصرف على شراء غاز الطبخ وما يستلزمه من توفر لمستلزماته من موقد حديث وقارورة يتجدد ملئها باستمرار. ويرتبط موضوع تدهور الموارد الغابية في تلك المناطق بموضوع استخدامات الأرض بغرض الزراعة وهي في الغالب الزراعة التقليدية التي تقوم على قطع الأشجار لفتح مساحات زراعية جديدة لمقابلة الزيادة السكانية أو لأي غرض اقتصادي آخر. يضم القطاع التقليدي الغالبية العظمى من المزارعين التقليديين في السودان الذين ينتجون لأجل البقاء، وتوجد عدة أنواع منه ولكنها جميعاً مقيدة بالحد المحصولي الجاف (Cox et al., 1979) ويترتب على ذلك زوال تلك الغابات الطبيعية التي يصعب تعويضها في زمن قصير. ينعكس ذلك بالتأكيد على البيئة الطبيعية وعلى السكان وما يليه من نتائج

اجتماعية - اقتصادية. لقد تطرق الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر لهذا الموضوع الذي لا تزال حيثياته حادثة في الريف السوداني وقام بربطه بموضوع ذو صلة به وهو الطاقة الريفية والأثر البيئي للمرأة في المناطق شبه الجافة من السودان. فالطاقة الريفية لا تخرج عن مواعين الموارد الطبيعية المتوفرة وأهما المورد الغايي. وبحكم أن المرأة الريفية في النطاق الجاف من السودان هي الجامع collector الرئيس لحطب الوقود للاستخدام المنزلي فبالتالي يظهر أثرها البيئي الواضح في تلك البيئات الهشة مما يتطلب من المخططين في سعيهم للحد من التدهور الغايي بضرورة التعامل مع عنصر المرأة وكيفية توعيته. إن وضع الإعتبار للعنصر البشري في إدارة الموارد بصفة عامة لأمر مهم وأساسي في الإدارة البيئية وهو ما سعى الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر لتأكيده في هذا الجانب البحثي من مساهماته العلمية. وقد ربط الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر هذا الموضوع بموضوع آخر عن علاقة السكان بالبيئة وهي علاقة تأخذ أشكالاً متعددة منها استغلال الموارد الطبيعية لأغراض الحياة والتنمية ومنها ما ينجم من أثار إيجابية أو سلبية تنعكس على البيئة نفسها. وفي هذا النوع من العلاقات بين عنصرين أحدهما مادي والآخر بشري هناك ضرورة لوضع السياسات والاستراتيجيات التي تؤطر لأسس الإستدامة.

يرتبط بموضوعي الجفاف والتصحر في هذه المناطق شبه الجافة من السودان موضوع البداوة في السودان والذي تطرق له الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر في ورقة علمية منفصلة. تعد البداوة نمطاً معيشياً له خصائصه الاقتصادية والاجتماعية في السودان. وتختلف مستويات البداوة بين المجتمعات من البداوة القائمة على التنقل الدائم إلى تلك القائمة على الاستقرار الجزئي في القرى إلى تلك القائمة على ممارسة الزراعة التقليدية والرعي المتنقل المحدود. لقد بذلت الدولة في سعيها لتطوير مجتمعات البدو في السودان باتباع عدة طرق وسياسات نجح بعضها وفشل البعض الآخر. وقد تطرقت خطط التنمية الاقتصادية في السودان وخاصة خطط منتصف الستينات لموضوع البداوة وخصصت له كثير من صفحاتها انطلاقاً من أفكار فلسفية تنموية لتطوير تلك المجتمعات. وبتطرق الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر لتلك الموضوعات يكون قد عالج أحد أهم قضايا الاقتصاد الريفي في السودان خاصة وأن تلك المجتمعات قد تعرضت في سنوات تالية لكثير من موجات الجفاف والتصحر وتغيرت كثير من أنماط حركتها المكانية حيث دخلت في نزاعات

بعضها مسلحة ترتب عليها بعض المشاكل السياسية مثل مشكلة دارفور حيث كان للبداءة وتغير نمط حركتها المعهود دور كبير في تعقيد تلك المشكلة.

لا ينفك موضوعي الغابات والوقود الريفي مرتبطين بموضوع بحثي آخر قدمه الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر وهو تسجيل الموارد القومية والبنية التحتية في النطاق الجاف المتأثر من السودان بالتطبيق على منطقة الأبيض التي تغطيها الخريطة ربع المليوننة للسودان. وخلال الفترة 1987-2008 ساد التصحر كثيراً في وسط ولاية شمال كردفان فوق إمكانات إعادة نمو النباتات الطبيعية وخاصة في المناطق حول القرى الريفية. وتعتبر عوامل تغير استخدام الأرض وسوء إدارة الموارد الطبيعية بمثابة العوامل القائدة والمؤثرة على إحداث هذا التدهور حيث قدرت مساحة 120,000 كلم مربع بأنها معرضة لمعدلات تصحر يتراوح بين المتوسط والمرتفع (M. Dawelbait, et al., 2012). تمثل منطقة الأبيض تقريباً نهاية الحد الجنوبي للسودان شبه الجاف حيث تكثر معدلات الأمطار جنوبها وتزداد كثافة الغطاء النباتي ويكثر نمط الرعي المستقر حول المراكز الريفية. ومفهوم الموارد القومية موضوع مهم للتخطيط والتنمية الإقليمية وهو واسع يشمل جميع الموارد الطبيعية بأنواعها وتصنيفاتها المختلفة. وتأتي أهمية هذا الموضوع أكثر في اختصاصه بجزء من السودان يتميز بهشاشة نظامه البيئي وبالتالي موارده الطبيعية التي تحتاج لإدارة بيئية متكاملة تعمل على الحفاظ عليها في استغلال متوازن للمجتمعات المحلية مما يساعد على استدامتها. يعتبر هذا من الموضوعات البيئية المستمرة التي تتجدد مع تجدد الأوضاع البيئية واحتياجات المجتمعات للموارد الطبيعية لأغراض التنمية. أما جانب تسجيل البنى التحتية التي تطرق له الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في هذه المناطق فمهم وضروري لتحديد مستويات التنمية الحادثة في البنى التحتية للمشروعات الزراعية والخدمية في القرى والمدن حول مدينة الأبيض المركز الحضري الرئيس في منطقة شمال كردفان.

اهتم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر موضوع الاستدامة الحضرية والتي تناولها في ورقة علمية عنوانها مدينة صديقة للبيئة: دراسة في الاستدامة الحضرية في العام 2020م. ويتمشى هذا مع المفاهيم الحديثة لتخطيط المدن. فالمدن الحديثة تُنشأ لتكون صديقة للبيئة من حيث توافق تخطيطها وإدارتها مع شروط الاستدامة الحضرية التي تهتم بالقاطنين المعاصرين وفي نفس الوقت تحافظ على بنيتها الداخلية وعلاقاتها الخارجية مع محيطها الجغرافي القريب والبعيد للأجيال المقبلة. وقد أصبح

مثل هذا النمط الحديث من التخطيط الحضري ضرورة لتقليل أثار التغير المناخي. ويحدث هذا في وقت تتسارع فيه وتيرة التحضر وتحول سكان الريف لسكنى المدن. يفتح مثل هذا النوع من البحث العلمي الباب واسعاً لطيف واسع من الباحثين في مجالات العلوم الهندسية والاجتماعية والصحية والاقتصادية وغيرها من مجالات الاختصاص. والسودان في حوجة شديدة لمثل هذه الأنواع من البحوث أسوة ببقية دول العالم الأخرى.

محور الدراسات التنموية الإقليمية:

وبقدر ما اهتم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر بقضايا البيئة اهتم أيضاً بقضايا التنمية في السودان التي تعتبر من القضايا المتجددة في كل المستويات المحلية والقومية وذات صلة وثيقة بموضوعات البيئة التي تناولها في محور البحوث السابقة. لقد دخل السودان معترك التنمية الحديثة منذ دخول الاستعمار البريطاني إلى البلاد في عام 1898م وتأسيسه لشبكة السكك الحديدية والاتصال ثم إنشاء مشروع الجزيرة في عام 1924م وقيامه ببناء خزان سنار وشبكة الطرق البرية وظهور المدن الصغيرة والوسيلة بجانب احتلال الخرطوم لمرتبة المركز الحضري الأول في السودان لتصبح المدينة السياسية والإدارية الأولى فيه. لقد أوقعت هذه السياسات التنموية الكثير من التغيرات الاقتصادية الاجتماعية على المجتمعات السودانية الريفية والحضرية وزادت تأثيرات التخطيط التنموي عندما بدأت الحكومات الوطنية في تطبيق العديد من الخطط التنموية المتتالية منذ منتصف القرن الماضي وحتى برنامج الإقصاد الاقتصادي عام 1990م. وفي العادة تخصص نسب من الميزانية العامة للدولة لقطاعاتها الخدمية المختلفة. ومثال لذلك نجد أن الخطة العشرية 1961/62 - 1970/71 قد خصصت 29,9 % للزراعة والري كما حظيت قطاعات التعدين والصناعة والمواصلات والمرافق العامة والتعليم والصحة بنسب مقدرة من الموازنة العامة (Ministry of Finance and Economic Planning, 1961). ونظراً لاختلاف طبيعة فلسفة التنمية وتأرجحها بين المدرستين الرأسمالية والاشتراكية، وتأثيرات فلسفة التنمية لدول ما بعد الاستقلال وخروج الاستعمار من قارات أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، فقد تأرجحت خطط التنمية في السودان معها، وبالتالي تباينت التأثيرات المكانية لها مما خلق كثير من المشاكل التنموية التي كانت تحتاج لإجراء البحوث العلمية المتخصصة.

في هذا الإطار العام من القضايا نشر الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر عدداً مقدراً من الأوراق تعالج بعض أهم قضايا التنمية في السودان. أحد تلك الموضوعات هو تحديد الموقع الجغرافي الأمثل للمنشآت الصناعية والذي يعتبر أحد عوامل قيام الصناعة بالإضافة لعوامل أخرى مثل رأس المال والمواد الخام والعمالة وغيرها. ويؤثر هذا العامل تأثيراً كبيراً في الصناعة من حيث مرودها الاقتصادي ومستقبلها. وتسعى الدول النامية سعيّاً حثيثاً لتفادي خطأ التموضع الصناعي الخطأ وعلى ذلك فإن المساهمة في هذا الموضوع لأمر مهم. لقد ساهم البحث في هذا الجانب بكتابة ورقة علمية تقوم على محاولة تموضع منشأة صناعية في العالم النامي (الموقع الجغرافي). وتنعكس إيجابية هذا الموضوع على السودان كدولة نامية دخلت عالم الصناعة الحديثة منذ منتصف ستينات القرن الماضي حيث نشر البحث في عام 1981م مما يسهم في ما تلى ذلك من جهود لتطوير الصناعة في السودان. وفي بحث متصل بما سبق كتب الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر عن تاريخ وتطور وتوزيع الصناعة في السودان ونشر في المجلة الجغرافية للجمعية الجغرافية المصرية. وفي تناوله أمر مهم فالسرد التاريخي يبين الجوانب الحضارية للمجتمع السوداني وسعيه الحثيث في الفترات التاريخية القديمة والحديثة للدخول في عالم الصناعة مما يؤكد على الدور الحضاري للسودان. أما التطور فيوضح المستوى الحالي للصناعة في السودان من حيث تقدمها ومواكبتها أو تخلفها عن الوضع العالمي مما يفيد في وضع خطط وسياسات التطوير. أما التوزيع الجغرافي فيعكس الصورة العامة لوجود الصناعات أو غيابها ونوعها على المستوى الإقليمي للسودان مما يمكن من تحديد مستوى التنمية الإقليمية في هذا الجانب للعمل على تقليل أو تفادي مشاكل التنمية الإقليمية غير المتوازنة والتي تعتبر من أهم قضايا السودان المعاصر والتي ترتب عليها الكثير من عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي في بعض أجزاءه. لم يغفل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر هذا الجانب المهم فقد أورد بحثاً يهتم بدراسة مشكلة عدم التوازن الإقليمي في السودان وتأثيرها على الهوية القومية. خاصة وأن هناك من يرى المواجهات بين الأفارقة والعرب في وادي النيل كصراع حول القومية، أحدهما متجذر في الأفريقية والآخر في العروبة (Dunstan, 1981). فمشكلة التنمية الإقليمية غير المتوازنة تعتبر متلازمة لعملية بدء توقيع التنمية الحديثة القائمة على خطط التنمية الاقتصادية الاجتماعية. وقد بدأت قضية التنمية غير المتوازنة في السودان منذ أن بدأ

الاستعمار في استغلال الموارد الطبيعية لبيئات السودان الرطبة نسبياً وغير المكلفة اقتصادياً مقارنة ببيئاته الجافة التي تعتمد على موسمية الأمطار إضافة لبعدها الجغرافي وارتفاع تكلفة استغلالها مقارنة بالعائد الاقتصادي. واستمرت حكومات ما بعد الاستقلال في وضع خطط التنمية القومية التي تشمل خطاً للتنمية الإقليمية تركز أكثر على مواصلة التنمية في المناطق التي عمل الاستعمار على استغلالها مسبقاً. ولكن هذا لا يعني عدم قيام مشاريع في البيئات الجافة وشبه الجافة في السودان فهناك مشاريع تطوير حزام الصمغ العربي وتوطين الرحل وتوفير مياه الشرب للإنسان والحيوان ونحسين نسل الحيوان ومشاريع إنشاء المدارس والجامعات. ولاختلاف ايقاع وتيرة مردودات التنمية المكانية وتباينها لأسباب مختلفة تفاقمت مشاكل عدم التوازن الإقليمي في التنمية. وقد طبق الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مفهوم عدم التوازن الإقليمي في التنمية في السودان بدراسة بعض أنماطه في منطقة جبال النوبة وتأثيرها على البنية المكانية القومية في السودان. فبالإضافة لما سبق ذكره من مردودات غير إيجابية للتنمية الإقليمية غير المتوازنة فإن تأثيرها على البنية المكانية القومية في السودان يعتبر تأثيراً ذا أبعاد آنية ومستقبلية. فالسودان مثل بقية الدول من حيث منظور الجغرافيا السياسية يمتلك بنية مكانية لها حدودها الجغرافية الدولية ومواردها الطبيعية والبشرية وعلى ذلك تتحدد كينونته المكانية على خريطة العالم السياسية. وداخل هذه الكينونة السياسية تُوقع المشاريع التنموية المختلفة والتي إن كانت غير متوازنة ستؤدي لما سبق الإشارة إليه من جوانب غير إيجابية. ويمكن لذلك أن يؤثر على بنية السودان المكانية الآنية في ما يترتب عليه من نتائج ترتبط بحركة السكان والهجرة وتغير طبيعة المجتمعات الريفية ومشاكل الحضر وإعادة توزيع العرقيات والتمازج بينها وغير ذلك من التأثيرات المدروسة. وفي مآلات المستقبل قد يخلق كينونة سياسية مغايرة في كثير من جوانبها الاقتصادية الاجتماعية لما هو موجود الآن. وهناك جانب ذو صلة بهذا الموضوع لم يغفله الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر وهو موضوع الهوية. فقد كتب موضوعات تناولت التغيرات الاقتصادية-الاجتماعية وسط النوبة المهاجرين في الخرطوم وأم درمان مع الاعتبار لصلاتهم مع قراهم في موطنهم، بجانب كتابة موضوع عن الصحة والهوية في السودان، ومشكلة عدم التوازن الإقليمي في السودان وتأثيرها على الهوية القومية الذي سبق الإشارة إليه. فقد قام بدراسة مجموعات النوبة التي تقطن في أطراف مدينة

أم درمان وداخل المكون العشوائي في قلب أم درمان القديمة «منطقة القماير» ضمن المشروع الألماني لدراسة تغيرات الهوية في السودان. ففي العادة يكتسب المهاجرون الكثير من الخصائص الثقافية للمواطن الجغرافية التي يهاجرون إليها ثم ينقلونها لمواطنهم في زياراتهم السنوية أو الزيارات المتباعدة. ويسهم ذلك بالتأكيد في إحداث التغير الثقافي في تلك المجتمعات خاصة في أحوال طغيان النمط الثقافي للمركز الحضري المهيمن وهو في هذه الحالة قد يكون المدنية الرئيسية في الدولة أو في الإقليم. وقد تدخل تلك المجتمعات في الصراع بين الإرث الثقافي الممتد لتلك المجتمعات والمد الثقافي الحديث ويحدث كثير من النتائج التي تعتبر دراستها أمراً مهماً في الحفاظ على الكينونة السياسية للدولة. وبذلك تلعب المراكز الحضرية دوراً واضحاً في التأثير على هوية (وهي أحد الخصائص الاجتماعية) المجتمعات الريفية ولا يتقصر ذلك الدور على المراكز الحضرية الكبيرة بل يشمل الصغير منها ولا يقتصر على جانب الهوية فقط بل يشمل الحياة الاقتصادية أيضاً. ولتأكيد هذا الدور بصورة عامة أورد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر عنواناً: «المدن الصغيرة في السودان ودورها في التنمية الاقتصادية- الاجتماعية». وبذلك تخدم المدن الصغيرة دور أقطاب النمو التي تؤثر على محيطها الجغرافي لنشر التحديث innovation في المجتمعات الريفية ومن أهم جوانبه نقل التكنولوجيا الزراعية بإدخال أساليب الزراعة الحديثة وتربية الحيوان بإدخال الأنسال المحسنة، وتطوير الصناعات التقليدية، وغيرها من المجالات.

تحتاج معالجة قضايا عدم التوازن الإقليمي وقضايا الهوية القومية إلى وجود إدارة إقليمية متخصصة وهذا ما عالجته الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في موضوع منفصل تحت نفس العنوان. وتعتبر الإدارة الإقليمية أحد أذرع الحكومات المحلية الإقليمية ومكون رئيس من مكونات الحكم الإقليمي في السودان. لقد بدأ تطبيق هذا النمط من الحكم الإقليمي منذ بداية سبعينات القرن الماضي وأحدث تحولاً كبيراً عمل على نقل الكثير من صلاحيات الإدارة الأهلية الموروثة تاريخياً في المجتمعات الريفية إلى إدارة الحكم المحلي حيث كان تم تقسيم السودان إلى أقاليم إدارية كبيرة استوعب كل إقليم عدداً من المحافظات provinces السابقة التي وجدت منذ زمن الاستعمار البريطاني. ومثال لذلك فقد شمل الإقليم الأوسط كل من محافظات النيل الأزرق والنيل الأبيض وسنار والدمازين. وبتقليص الظل الإداري تمكن نظام الحكم الإقليمي من المضي قدماً في تنفيذ توجهاته التي لا تخرج عن معالجة قضايا التنمية

ومن ضمنها كفاءة النظام الإدارة المحلي الملصق بقضايا المواطنين وقضايا بيئاتهم المحلية المختلفة.

تساهم الصناعة في الاقتصاد الكلي للدولة إلا أن دراسة دور الصناعات الريفية في البيئات الجافة وشبه الجافة من السودان فيه تخصصية أكثر في جانبه البحثي والذي عمل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بباكر على دراسته دراسة جغرافية. من المعروف أن المجتمعات الريفية تمارس أنماطاً من الصناعات الريفية القائمة على الموارد الطبيعية المتاحة مثل الأخشاب وجلود الحيوانات ومنتجاتها من الألبان وغيرها. وتسهم هذه الصناعات في زيادة الدخل النقدي لهذه الأسر خاصة بعد إنتهاء موسم الحصاد ودخول تلك المجتمعات في حالى سبات اقتصادي. كما تعتمد عليها كثير من الأسر الريفية ويرتبط بها الصناعات النسوية التي تقوم على عمالة الأسرة من الأبناء. ويعتبر دعم مثل هذه الأنشطة الاقتصادية التقليدية بمثابة دعم لاقتصاد الأسرة family economy الذي ينتشر في كثير من الدول مثل الهند التي تعمل الأسر «الحضرية» على زيادة مصادر دخلها النقدي بالعمل من منازلهم في جميع أجزاء الحواشيب المحمولة والمكتبية لشركات إنتاج الالكترونيات العالمية. ويأتي تميز هذا النوع من البحوث أكثر في اختصاصه بدراسة تأثير الصناعات الريفية في بيئة تتميز بالجفاف أو شبه الجفاف وعلى ذلك تغطي مناطق واسعة في شمال ووسط السودان بجانب توضيح اثرها البيئي المتمثل في قطع الأخشاب للحصول على المواد الخام الأولية أو تربية الحيوان بكميات تفوق الطاقة الاستيعابية للمرعي مما يزيد من معدلات الزحف الصحراوي أو فقدان البيئة لمكوناتها العضوية المختلفة. ويرتبط بموضوع الصناعة موضع الطاقة في السودان وهي أحد مدخلات الصناعة الرئيسة التي بدونها لا يمكن لأي صناعة أن تقوم حتى ولو توفرت جميع المدخلات الأخرى. ولا يقتصر موضوع الطاقة على الصناعة فقط بل يمتد ليشمل جميع نواحي الحياة المعاصرة في الحضر والريف وفي المشروعات الزراعية الحديثة. ويرتبط بموضوع الطاقة على المستوى الكبير ارتباطها بالمستوى الدقيق عند مستوى المجتمعات المحلية. وقد تطرق الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بباكر لهذا الموضوع تحت عنوان «الطاقة المنزلية الريفية في جبال النوبة» لتوضيح أهمية معالجة مثل هذه القضايا المرتبطة بالتنمية الريفية المحلية في الحفاظ على الموارد الطبيعية وخاصة استخدام الأخشاب في توفير الطاقة للأسر الريفية. وقد رُبط هذا الجانب بموضوع مستقل أفرده الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بباكر تحت

عنوان «الموارد الخشبية واستخداماتها في جبال النوبة». يعطي هذا تقييماً متكاملاً لوضعية مصادر الطاقة الريفية وطرق استخداماتها ومخاطر الإفراط في الاستغلال غير المرشد لهذه الموارد المعرضة لمخاطر التغيرات البيئية الحادثة في المناطق الجافة وشبه الجافة في السودان.

يعتبر مشروع الجزيرة مثلاً واضحاً لتوقيع التنمية في المناطق السهلة الاستغلال وذات المردود الاقتصادي المرتفع لسهولة ريه بنظام الراحة ولقربه من خطوط المواصلات وموانئ التصدير. ورغم أنه يتمتع بالتربة الخصبة التي تصنف على أنها فيرتيسول في ثلاثة من النظم العالمية لتصنيف التربة (Blockhuis,1993) وبنظام ري دائم حيث يعتمد على سد سنار على النيل الأزرق إلا أن المنطقة من ناحية جغرافية تقع ضمن النطاق شبه الجاف في السودان. قد يرتبط بذلك الكثير من المشاكل البيئية ولكن بحكم أنه منظومة اقتصادية تتضمن الكثير من العمليات الاقتصادية ويشمل منظومة من المكون البشري فمن الضرورة أن توجد مشاكل تأخذ أشكالاً مختلفة. لقد عالج الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر بعض جوانب هذه المشاكل من منظور تنموي في بحث أفردته تحت عنوان «مشاكل التنمية في مشروع الجزيرة الواقع في النطاق الجاف من قارة أفريقيا». ويقدر ما توجد مشاكل ترتبط بالمشروعات الزراعية الكبيرة في السودان هناك أيضاً كثير من المشاكل التي ترتبط بالنمو الحضري وظهور المدن الكبيرة منها مشاكل التدهور البيئي للمدن وانتشار السكن العشوائي والتسول والفقر الحضري. ومن أبرز مظاهر الفقر الحضري ما يرتبط بالأوضاع التغذوية لقاطني الحضر. وقد تناول الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر هذا الجانب بتقييمه «للوضع التغذوي واستراتيجيات المعيشة في مدينة أمدرمان». وتسهم مثل هذه الدراسات في تحديد مواقع الفقر الغذائي داخل المركب الحضري وأسبابه خاصة في ظل موجات الهجرة المتسارعة من الريف إلى الحضر في السودان وتسارع وتيرة سكن المدن في السودان. كما تسهم مثل هذه الدراسات في وضع الاستراتيجيات لتفادي مشاكل سوء التغذية وسط الأطفال أو ما تسببه من مشاكل ترتبط بتترك الأطفال للمدرسة والانخراط في عمالة الأطفال التي لا تجوزها الأعراف والقوانين. لقد ظلت مشكلة نقص الغذاء وسط سكان الحضر بعدم حصولهم على الكميات الكافية منه وصعوبة مقابلة تكاليفه المالية المرتفعة بجانب صعوبة الوصول إليه وهو ما يعرف بثلاثية الإتاحة، والإستطاعة، وأمكانية الاتصال

availability, affordability, accessibility متجددة لأسباب تردي الأحوال الاقتصادية للبلاد. ويصدق ذلك ما أعقب قيام ثورة ديسمبر 2018 ودخول السودان في حالة تحول سياسي واقتصادي انعكس على سكان المدن بصفة عامة. لقد أصبح الحصول على المتطلبات الغذائية يفوق القدرة الاقتصادية لمعظم الأسر مما ترتب عليه اتباع استراتيجيات للمعيشة اتخذت أشكالاً عديدة.

مجالات وملاح البحث في قضايا التعليم العالي في السودان والعالم العربي :

من وقائع المقابلة الشخصية مع الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر بتاريخ 7 ديسمبر 2021 اتضح أن من الأسباب الرئيسة وراء اهتمامه بالكتابة في موضوعات وقضايا التعليم العالي في السودان والعالم العربي هو اختياره لتولي عدداً من الإدارات بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، منها إدارة التعليم الأهلي والأجنبي، ورئيساً ومؤسساً لهيئة التقويم والاعتماد والجودة بالوزارة بالإضافة لعضويته للمجلس القومي للتعليم العالي. وفي جميع هذه المناصب والعضويات رأى عن كثب تعقيدية مشاكل هذا القطاع من التعليم حيث عمل للمساعدة في حلها أو تطوير قطاعاته. وقد وضح هذا من تنوع بحوثه في مجالي الاعتماد والجودة وتأليف الكتب الجامعية. لقد ساعد هذا في خلق قنوات صلة بمؤسسات التعليم العالي العالمية والإقليمية مثل اليونسكو والعمل في عضوية Global network for Innovation التي تهتم بالجانب البحثي لتطوير التعليم العالي في العالم. ونتيجة لكثرة وتعقيد مشاكل التعليم العالي فقد اتجهت الاهتمامات البحثية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر نحو أكثر من الاتجاه نحو البحث الجغرافي، ولكن من المؤكد أن كليهما يعمل لتحقيق التنمية البشرية.

يعتبر التعليم العالي الرافد الرئيس للكوادر المؤهلة علمياً والمدرّبة تدريباً فنياً لشغل الوظائف المدنية في الدولة الحديثة. وبحكم أن التعليم العالي جسم متحرك يعمل للاستجابة لمتطلبات المجتمع وحوجته للوظائف المدنية فمن المحتم أن يتطلب التحديث والمواكبة وأن يواجه بالكثير من القضايا والمشكلات في محاولات الاستجابة لتلك المتطلبات. ويحتاج التعليم العالي أن يتطور في وظيفته بآلا تقتصر على تقديم المعرفة ونقلها والتدريس والبحث بل لا بد من إضافة التعليم الذاتي والتربية المستمرة

والتعلم مدى الحياة وإقامة قواعد التعاون والحوار والسلام العالمي (عوض الله، 2011). شهد السودان منذ عام 1994م تغيرات جوهرية في بنية وفلسفة التعليم العالي. فقد تم التوسع في الجامعات الحكومية والخاصة والكليات الأهلية على مستوى أقاليم السودان المختلفة. ونتج من ذلك كثير من القضايا التي أثرت تأثيراً كبيراً على مخرجاته وعلى سوق العمل الداخلي والخارجي. كما ونتيجة للتأثيرات الخارجية وضرورة وجود موقع بين الجامعات العالمية في جوانب التصنيف الذي يتطلب بيئة داخلية وخارجية متكاملة بغرض الاعتماد العالمي فقد استجذبت بالمثل الكثير من القضايا التي تحتاج للدراسة والبحث والتقصي.

ساهم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر بعدد كبير من البحوث في قضايا التعليم العالي تراوحت بين النظم واللوائح والجودة والاعتماد والتعليم الجامعي الأهلي والخاص وقضايا كليات التربية بالجامعات السودانية التي تحتاج للبحث عن التجارب الذاتية وتجارب الآخرين في تعليم المعلمين (حمود، 2005) ، بجانب تأليف الكتب المرجعية، وغيرها مما سيرد تفصيله. ففي جانب نظم التقييم الأكاديمي لطلاب البكالوريوس هناك بحث تحت عنوان «نظام الوحدات الدراسية وإمكانيات تطبيقه في الجامعات السودانية». ونظام الوحدات الدراسية course unit system هو نظام أكاديمي أمريكي النشأة يقوم على فلسفة أهم معاملها عدم التقيد بحد أعلى للسنوات الدراسية الجامعية إذ يستطيع الطالب التخرج في ثلاثة أعوام بدلاً عن أربعة أو خمسة أعوام شريطة إستيفائه متطلبات الحصول على درجة البكالوريوس باكماله للساعات المعتمدة. كما يقوم على تقديم المقررات الدراسية لكل الطلاب خلال العام الجامعي المحدد أو من خلال الفصول الصيفية في فترة العطلة بين نهاية وبداية عام دراسي جامعي. وهو نظام يحتاج لامكانيات مادية وأكاديمية متكاملة. وقد أدخل هذا النظام أول الأمر في جامعة الجزيرة ومنها انتقل لكلية التربية جامعة الخرطوم ثم أصبح سائداً في معظم الجامعات الحكومية والأهلية. ويمكن اعتبار الكتابة في مثل هذه المواضيع بمثابة مواكبة للتغيرات العالمية في التعليم الجامعي وعدم الإنغلاق على الموروث القديم من نظم. وفي جانب يرتبط بهذا الموضوع أفرد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر دراسة بعنوان «تقييم الطلاب عند مستوى التعليم الجامعي». ويعتبر هذا موضوعاً مهماً لأنه يساهم في تحديد مستوي مخرجات outcomes مؤسسات التعليم العالي ومدى قدرتها على الاستجابة لمتطلبات سوق العمل المحلي والخارجي.

وتقييم الطلاب هو عملية مستمرة نتيجة للتطور العلمي المتسارع وتغير سوق العمل الذي أصبح سوقاً عالمياً يحتاج للمواكبة عن طريق التقييم المستمر لمخرجات التعليم العالي المتمثلة في الطلاب الخريجون والذي يحتاج لتقييمهم الأكاديمي أثناء فترة دراستهم الجامعية. ويتطلب هذا الموضوع أيضاً التطوير المهني لأعضاء هيئة التدريس الجامعي الذي لم يغفله الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر في توجهاته البحثية. فتطوير الموارد البشرية "HRD" human resource development في مؤسسات التعليم العالي وخاصة أعضاء هيئة التدريس أصبح أمراً مهماً وذو ضرورة تملئها متطلبات الواقع وتحديات المواكبة. فالتعليم العالي لا يمكنه التطور إلا بتطوير أداء أعضاء هيئة التدريس والعاملين فيه من أطر بشرية إدارية وفنية. يتطلب هذا التأهيل الجيد في مستوى الماجستير والدكتوراه والدورات الحتمية والدورات المستمرة والزيارات الخارجية لمؤسسات أجنبية وخلق العلاقات البحثية مع النظراء. وقد أشار الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر في ورقة علمية منفصلة عن «دور تصميم المناهج في تحسين الأداء لأعضاء هيئة التدريس في مؤسسات التعليم العالي». يقوم تصميم المناهج على أسس علمية متعارف عليها عالمياً حيث تساعد عضو هيئة التدريس في تحقيق أهداف المقرر الدراسي وكيفية تنفيذه وتوقع مخرجاته النهائية للطلاب. وبذلك يخدم كخارطة طريق توجه العملية التعليمية لتحقيق أهدافها. ويبدأ تصميم المناهج على مستوى الأقسام في الكليات حيث يشترك في تصميمها أعضاء هيئة التدريس وفق مرشحات الجامعة التي تبنى على قيمها وأهدافها ورسالتها في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية السياسية للدولة.

من المواضيع المهمة التي تطرق لها الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر موضوع «ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي». وتأتي أهمية هذا الأمر لاشتماله على جميع نواحي البيئة الداخلية والخارجية والمخرجات النهائية لتلك المؤسسات. وتدخل هذه المعايير في تصنيف الجامعات على المستوى الإقليمي والعالمي حيث تعطى مرتبة rank بين الجامعات. ولهذا التصنيف دور إيجابي في رفع المرتبة العلمية للجامعة المعنية ولأعضاء هيئة التدريس العاملين فيها ولخريجوها في المنافسة في سوق العمل. لقد تطرق الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر لهذا الموضوع في بحوث منفصلة شملت المستوى العالمي، منها «ضمان الجودة للتعليم العالي العابر للحدود» و «الاعتماد للجودة: ما المخاطرة؟»، و «الجودة في الدراسات بعد الجامعية»

، كما كتب مقالين آخرين عن «تطوير المنهج الجامعي لأجل الجودة والأداء الفعال» و «نموذج مقترح لتقييم مؤسسات التعليم العالي». أما على مستوى السودان حيث كانت عناوين تلك البحوث «ضمان الجودة في السودان: المفهوم، التطور، العمليات والتحديات»، و «ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في السودان»، و «ضمان الجودة في التعليم العالي» و «النموذج السوداني لضمان الجودة»، و «التقييم والاعتماد في التعليم العالي، الكتاب المصدر للتقييم الداخلي (مرشد يدوي لوحدات التقييم الداخلي في مؤسسات التعليم العالي)». وتأتي أهمية دراسة الجودة في مؤسسات التعليم العالي لتفادي ضعف ارتباط مخرجات التعليم العالي بسوق العمل وفي عدم إسهامها في التنمية (عوض الله، 2007).

كما كتب الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر عن «ضمان الجودة والاعتماد على مستوى كليات التربية في السودان ، و« كلية التربية في جامعة المستقبل» و«مشاكل تطوير البحث التربوي في السودان» و «تأثير التغيرات الحديثة في منهج التعليم العام على برامج كليات التربية في السودان» و «دور كليات التربية في التدريب النوعي للمعلمين»، و «الاتجاهات الحديثة في تدريس العلوم الاجتماعية» «مما يسهم في تحسين نوعية الطالب/المعلم/ الخريج. وقد شهدت كليات التربية التي تم إنشاؤها منذ عام 1994م الكثير من المشكلات التي تحتاج لدراسات ميدانية لإيجاد الحلول لها. كما كتب موضوعات عن التعليم العالي الحكومي وغير الحكومي في السودان شملت «تطوير قدرات مدير الجامعة في السودان» و «التعليم العالي ودوره في تطوير قطاع التعليم العام» و «التعليم العالي في السودان: السياسات والتوجهات والأدوار»، و «التعليم العالي غير الحكومي في السودان: التوجهات والموضوعات والمشاكل». وتعتبر قضية الاعتماد من القضايا السارية في التعليم العالي في السودان خاصة وأن الإطار الأكاديمي للاعتماد غير واضح، وهناك ضعف في البحث العلمي وأن عدد أعضاء هيئة التدريس ومساعدتهم قليل مقارنة بعدد الطلاب وعدم وجود شبكات لربط الجامعات معلوماتياً وضعف إدارة الجامعات بالانتاج وعدم مقدرة الخريج على المنافسة في الأسواق العالمية وهناك ضعف في الموارد المالية وميزانيات البحث العلمي (عوض الله، 2008).

اهتم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر بقضايا التعليم الجامعي على مستوى العالم العربي حيث كتب موضوعات في «نحو مبدأ جديد للتعليم العالي في الدول العربية» و «التعليم العالي في الإقليم العربي: بعض التوجهات والتحديات» و

« ترخيص ورقابة مؤسسات التعليم العالي الخاصة في الدول العربية». وعلى مستوى الدول العربية كتب الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر بحوث منفصلة عن « ضمان جودة واعتماد مؤسسات التعليم العالي في الإقليم العربي» و « التعليم العالي، العولمة و ضمان الجودة في الدول العربية» و « ضمان الجودة والاعتماد لمؤسسات التعليم العالي في الإقليم العربي» و « ضمان الجودة في الجامعات العربية» و «مجهودات ضمان جودة التعليم العالي في الأقطار العربية»، و «الجودة في الدراسات بعد الجامعية».

تسارعت وتيرة إدخال التعليم الجامعي المفتوح open university education والتعليم عن بعد distance learning في شتى أنحاء العالم حيث أصبح موازياً للتعليم الجامعي النظامي ومكملاً له في تعليم بعض العلوم وخاصة العلوم الاجتماعية والإنسانية. وفي السودان توجد جامعة مفتوحة واحدة وعدد من كليات التعليم عن بعد في بعض الجامعات بجانب فرع للجامعة العربية المفتوحة ومقرها الكويت. وقد أتت هذه المؤسسات التعليمية استجابة للتطور التقني والانفجار المعرفي في جميع المجالات حيث ظهرت الجامعات الافتراضية، التعليم المدمج، التعليم عن بعد، التعليم الإلكتروني مهنه الشامل هما فيها التقويم الإلكتروني (حسب سيدو و موسى، 2019) لقد ساهم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر في مجال التعليم المفتوح بكتابة بعض الموضوعات منها «تقييم المؤهلات المتحصل عليها عبر التعليم عن بعد» و «ممارسة التدريس: كتاب مصدر للمعلمين والطلاب برنامج التربية الجامعة العربية المفتوحة الكويت» و «كتب جغرافية مصممة للتعليم المفتوح (وحدة التعليم المفتوح جامعة وادي النيل مركز جرش الأردن 1998-2002» و مجموعة كتب عن «التنمية والتخطيط الإقليمي، وتفسير الخرائط والصور الجوية، وطرق البحث في الجغرافيا». وهناك بعض الكتب المرجعية التي قام الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر بتأليفها مثل «دراسة جغرافية للنيجر» و «الكتاب المصدر للتربية السودانية» و «أسس تفسير الخرائط والصور الجوية بالاشتراك». وفي مجملها تساهم في توفير المصدر المعلوماتي لطلاب التعليم المفتوح في العالم العربي وفي السودان خاصة وقد أصبحت مثل هذه المؤلفات مرجعاً لكثير من طلاب التعليم النظامي الحكومي والأهلي.

مجالات وملاح البحث في قضايا التعليم العام :

في البدء قد يتبادر سؤال هنا وهو: ما دوافع الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر من الكتابة في موضوعات تلي التعليم العام رغماً عن تخصصه الرئيس

والاهتمام بقضايا التعليم العالي التي سبق ذكرها؟. من وقائع المقابلة الشخصية مع الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر بتاريخ 7 ديسمبر 2021 نجد الأجوبة على هذا السؤال:

عمل الاستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في بواكير حياته العملية معلماً بالمرحلة الوسطى في أوائل الستينات ثم معلماً بالمرحلة الثانوية بعد تخرجه مباشرة من معهد المعلمين العالي. لقد أفادته تجربتين في تلمس قضايا تلك المرحلة من التعليم وفي بلورة الخلفية العلمية والعملية التي تعين في تلمس قضاياها. المشاركة في وضع امتحانات الشهادة السودانية لمادة الجغرافيا لمدة إثنين وعشرون عاماً بدءاً من عام 1978 وحتى عام 1998م. وقد تفيد مثل تلك التجربة في تتبع تطور المناهج ومن ثم المساهمة في تطويرها.

ساعدت هذه الأوضاع في استعانة وزارة التربية والتعليم بالأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في مختلف اللجان التي تم تكوينها لمراجعة جميع مناهج المرحلة الثانوية ومرحلة التعليم الأساسي عند البدء في تطبيق المنهج المحوري.

يعتبر التعليم العام محور التغير الاقتصادي - الاجتماعي ورافد الكوادر البشرية لمؤسسات التعليم العالي بجانب دوره الريادي في تطوير المجتمعات في إزالة الأمية والجهل. ولذلك فقد أصبح مثار اهتمام جميع الأمم حيث تخصص له الميزانيات السنوية للصرف والتي أصبحت مقياساً يقيس تقدم الأمم لأنه يمكن من تحقيق مستوى جيد من جودة التعليم العام. ويعتبر قطاع التعليم العام أكثر قطاعات الدولة عرضة للتغيرات نتيجة للتغيرات المتسارعة التي تطرأ على فلسفة التعليم من حيث المناهج وتدريب المعلمين والإشراف التربوي خاصة ومع التغيرات السياسية وما يرتبط بها من موجات التصحيح. لم يغفل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر هذه الجوانب حيث أخذت جزءاً مقدراً من اهتماماته البحثية. ويعتبر موضوع تدريب المعلمين وإعدادهم عبارة عن برامج تم إنشاؤها لإعداد المعلمين للمدارس عن مستويي المرحلة الابتدائية والثانوية (Britannica, 2019). ويتمثل دور المعلم في صناعة القرارات الذكية الرسمية وغير الرسمية لتحقيق مختلف المخرجات مع الطلاب ولأجلهم في مختلف الفصول المدرسية (UNESCO, 1990). وفي السودان أكدت الاستراتيجية القومية الشاملة في عام 1994م والاستراتيجية ربع القرنية للتعليم في السودان على تدريب المعلم لتحقيق قدرات أكاديمية، مهنية، سلوكية عالية للمعلمين

(Abushanab, 1993). وفي هذا الإطار فقد كتب الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر في جانب تدريب المعلمين التعليم العام عدّة موضوعات شملت «تدريب معلمي التعليم الأساسي واعتماد شهاداته» و «تدريب المعلم بين الدور التنظيمي والتعلم الذاتي المستمر» و «تدريب معلمي المرحلة الثانوية في ضوء المنهج المدرسي الجديد» و «استخدام التصميم التربوي التعليمي للتدريب أثناء الخدمة لمعلمي المدارس الثانوية» و «نحو توجيه تربوي فعّال في التعليم العام». ويرتبط موضوع تدريب المعلمين بموضوع تمهين التعليم أو مهنية التعليم» أسوة بالمهن الأخرى مثل المهن الطبية والهندسية والعسكرية وغيرها مما يؤكد أن التعليم «مهنة» وليست «حرفة» كما يفهم البعض بحيث يمكن لأي فرد أو خريج أن يصبح «مُعَلِّماً». لقد كان امتهان مهنة التدريس في الماضي يتم عبر قنوات رسمية «مهنية» ترتبط باختيار المعلمين خريجو كليات التربية أو معاهد إعداد وتأهيل المعلمين التابعة لوزارة التربية والتعليم إلا أنه في كثير من الأحيان كان يتم تعيين المعلمين من حملة الشهادة الثانوية السودانية دون تدريبهم أو من خريجي كليتي العلوم والآداب والزراعة مباشرة. ويتعارض هذا مع المفاهيم التربوية التي لا تقتصر فقط على دخول الفصل وشرح الدرس بل تمتد لتشمل الإرشاد والتوجيه المدرسي والأنشطة المدرسية بجانب الإعداد الفني للدرس وطرائق التدريس المناسبة لكل درس. لقد انعكس ذلك سلباً على العملية التعليمية مما تطلب التفكير في إيجاد حل لذلك. وأسوة بالدول الأخرى في المحيطين الإقليمي والعالمي تم إنشاء مجلس المهن التربوية والتعليمية بقرار رئاسي حدد تبعيته لمجلس الوزراء مباشرة. ومن المهام الأساسية لهذا المجلس اختيار المعلمين من خريجي كليات التربية ومن حملة الدبلوم العالي في التربية من خريجي كليتي العلوم والآداب بعد خضوعهم لامتحانات تحريرية في تخصصاتهم وفي العلوم التربوية والمعلومات العامة ليتم اختيار الناجحين منهم للعمل في مهنة التدريس بعد منحهم رخصة مزاولة مهنة التدريس والتي تجدد كل أربعة أعوام بعد حضور دورات تربوية في المركز القومي لتدريب المعلمين. تطرق الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر في عدد من الموضوعات لموضع التمهين حيث كتب «مهنية التدريس» و «النموذج السوداني في ترخيص المعلمين وتسجيلهم» و «معايير التمهين لمهنة التعليم». لقد أسهم هذا المجلس في حفظ حقوق خريجي كليات التربية بالتعيين في وظيفة «المعلم» في المرحلة الثانوية ومرحلة التعليم الأساسي وأوقف التغول على «المهنة» من آخرين كانوا يرون

أن «التعليم» يمكن أن يلجه أي «خريج» من أي من كليات الجامعة بحجة أن الكثير من معلمهم في المدارس لم يكونوا من خريجي كليات التربية وفي نفس الوقت تميزوا بالأداء التدريسي الجيد، وهذا ما يؤكد اقتصار فهمهم «للتعليم» في مجال «التدريس» فقط بينما «التربية أو التعليم» لها مجالات متعددة لا يسعنا ذكرها هنا. بجانب ذلك فقد نشر هذه المجلس الوعي وسط خريجي كليات التربية بأن «ليس أي خريج من كليات التربية هو معلم بالضرورة» أو «أنه صلح لمهنة التعليم بحكم الشهادة الجامعية». وقد أكد ذلك عملية الامتحانات التي يجريها المجلس وما تمخض عنها من استبعاد الكثيرين من خريجي كليات التربية. وبالطبع سيفيد هذا في أن تلتفت كليات التربية إلى ضرورة إدخال المعايير الشخصية والعلمية عند قبول الطلاب فيها من المرحلة الثانوية. لقد أصبح المجلس يحتل مكانته مثله وبقية المجالس المهنية الأخرى مما يساعد في المستقبل في تطوير مهنة التعليم.

وفي جانب المناهج كتب حول «حقوق الإنسان في مناهج التعليم العام» و «برنامج جغرافية العالم الإسلامي في المنهج المدرسي للمملكة العربية السعودية- دراسة نقدية» و «بعض مشاكل تدريس الجغرافية في التعليم العام في السودان». وتعتبر الكتابة في طرائق التدريس من أهم الموضوعات ذات الصلة بفعالية تطبيق المناهج المدرسية. فهذه الطرائق متجددة وتختلف حسب طبيعة المادة المدرسية بل وتختلف حسب طبيعة الدروس داخل المادة المدرسية نفسها. ويعتبر افتقار المعلم لطرائق التدريس الحديثة لعدم مواكبة مستجداتها من أهم أسباب فقر الحصة المدرسية وعدم استيعاب الدروس من قبل الطلاب. وتعمل الدول على تفادي مثل هذه المشاكل عن طريق التدريب المستمر للمعلمين. وقد عمل السودان على حل هذه المشكلة بإنشاء المركز القومي لتدريب المعلمين حيث يجلس المعلمون لدورات تدريبية كل أربعة أعوام وبعد إنتهاءها يجدد للمعلم رخصة تجديد مزاولة مهنة التدريس بالتنسيق مع مجلس المهن التربوية والتعليمية الذي شارك الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر بكتابة عدد من الموضوعات العلمية حول تمهين التعليم في السودان كما سبق الإشارة له.

شارك الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في تأليف بعض الكتب المنهجية لمادة الجغرافيا في المرحلة الثانوية منذ عام 1989م. وقد تزامن ذلك مع إدخال المنهج المحوري في التعليم العام القائم على المحاور المعرفية التي تجمع عدداً

من العلوم في محور واحد مثل محور الإنسان والكون الذي يجمع العلوم والجغرافيا والتاريخ معاً. وقد ظهر تطبيق ذلك المنهج جلياً في مرحلة التعليم الأساسي بينما ظل منهج المرحلة الثانوية قائماً على منهج المواد المدرسية المنفصلة إذ تدرس كل مادة على حدة. أُلّف الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بأكبر عدداً من الكتب بالاشتراك مع آخرين شملت «كتاب الصف الأول: أسس الجغرافيا وقراءة الخرائط» و «كتاب الصف الثاني: خرائط التوزيعات»، و «الجغرافيا الإقليمية - السودان» و «كتاب الصف الثالث «الاستشعار عن بعد»، وكتاب «الجغرافيا الاقتصادية، مشاكل عالمية». كما ساهم في تأليف «الأطلس المدرسي» ووضع «تسعة خرائط حائطية لمواضيع مختلفة للجغرافيا الاقتصادية للسودان». ويلاحظ أن هذا المنهج الحديث قد تطرق لموضوعات ودروس تعتبر مهمة إذ تؤسس لدراسة الجغرافيا في المرحلة الجامعية ومنها دروس عن خرائط التوزيعات والاستشعار عن بعد وغيرها.

ملخص الخصائص العامة للنشر العلمي :

- من استطلاع وتحليل موضوعات البحث العلمي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بأكبر يمكن أن تتضح مجالات وملامح بحوثه في الآتي:-
- تنوع مجالات البحث العلمي حيث شملت التخصص الرئيس (علم الجغرافيا) وقضايا التعليم العام والتعليم العالي.
 - تنوع الموضوعات داخل التخصص الرئيس للباحث حيث ركزت على مناقشة قضايا السودان البيئية والتنمية ووضع الحلول العملية لها.
 - تنوع الموضوعات التي عالجت قضايا التعليم العالي بين النظم واللوائح والجودة والاعتماد والتعليم الأهلي والخاص وقضايا كليات التربية بالجامعات السودانية وتأليف الكتب المرجعية.
 - تنوع الموضوعات التي اهتمت بقضايا التعليم العام بين قضايا تدريب المعلمين وتهيئ التعليم والمناهج وتأليف الكتب المدرسية.
 - يواكب المحتوى العلمي للموضوعات مستجدات البحث العلمي وقضاياها «مجاراة التحولات والاهتمامات البحثية المتجددة» مما يعطيها صفة الاستمرارية.

من المؤكد أن هذه الجهود العلمية لها مردودات في الجوانب التي عالجت قضاياها، وهنا يمكن أن نشير لبعضها، وليس لجميعها:-

- توفير قاعد بيانات جغرافية لكثير من القضايا البيئية ومشاكل التنمية في السودان تساعد في استكشافها ووضع البرامج والخطط لحلها أو تخفيف وطأتها.
- المساهمة في التدريس الجامعي بكتابة البحوث وتأليف الكتب المرجعية المواكبة لمستجدات علم الجغرافيا.
- المساعدة في صياغة السياسات ومثال ذلك تأسيس هيئة التقويم والاعتماد بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- تنفيذ سياسات تطبيق الجودة على مؤسسات التعليم العالي والذي انعكس إيجابياً على تصنيف الجامعات السودانية حيث تم إدخال مفهوم «الممتحن الخارجي» فيها.
- تقوية نظام التعليم عن بعد Distance Learning ونشر الوعي به داخل السودان وفي المنطقة العربية.
- تحديث مناهج مادة الجغرافيا في المرحلة الثانوية بادخال المفاهيم الحديثة مثل تطبيقات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية والقضايا المعاصرة وأكثرها إلحاحاً قضايا البيئة.

الخاتمة:

باعتبار الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر أحد رواد وأعلام المدرسة الجغرافية السودانية الذين عملوا على إثراء البحث العلمي الجغرافي في السودان، وباعتبار بحوثه التي تعالج قضايا التعليم العالي والعام في السودان يمكن القول بأنها مجهودات بحثية عملت على تحقيق هدف نبيل وهو تنمية وتطوير المجتمع السوداني من خلال معالجة مشاكله وقضاياها المتشعبة وخاصة تلك التي ترتبط بالتنمية والتعليم. عليه، يمكن للباحثين المحدثين مواصلة البحث في مثل هذه القضايا التي وضع ملامحها وسبر غورها الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر.

الهوامش:

- (1) أحد طلاب الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في الفترة من 1979-1983، ثم زميلاً له في قسم الجغرافيا فيما بعد.
- (2) حسب سيدو، يحيى محمددين، و موسى، بلال عيسى بلال. 2019. تقويم تجربة جامعة السودان المفتوحة للامتحانات الإلكترونية من وجهة نظر الطلاب. مجلة كلية التربية جامعة الخرطوم 14: 43-81.
- (3) حمود، على حمود. 2005. رؤية جديدة لدور المعلم في ضوء تحديات العولمة. دراسات سودانية 11: 00-00.
- (4) الرديسي، سمير محمد على حسن. 2020. تعليم الجغرافيا في السودان. دار جامعة الخرطوم للنشر. الخرطوم.
- (5) السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر. نوفمبر 2020.
- (6) عوض الله، عصام الدين بريز آدم. 2007. «واقع مخرجات التعليم العالي في ضوء معايير الجودة الشاملة»، ورد ضمن مقال: التعليم العالي ومطلوبات التنمية في السودان» ما بين الماضي والمستقبل. مجلة كلية التربية جامعة الخرطوم 5: 4-32.
- (7) عوض الله، عصام الدين بريز آدم. 2008. «التقويم والاعتماد بمؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في ضوء المعايير الدولية»، ورد ضمن مقال: التعليم العالي ومطلوبات التنمية في السودان» ما بين الماضي والمستقبل. مجلة كلية التربية جامعة الخرطوم 5: 4-32.
- (8) عوض الله، عصام الدين بريز آدم. 2011. التعليم العالي ومطلوبات التنمية في السودان» ما بين الماضي والمستقبل. مجلة كلية التربية جامعة الخرطوم 5: 4-32.
- (9) مقلد، اسماعيل صبري. 1973. مقالات في الإدارة العامة مع بعض التحليلات المقارنة. دار المعارف، القاهرة.
- (10) Abu Sin, M. H. and Davies, H.R.J.1991. The future of the capital region of Sudan, Khartoum University Press.
- (12) Abushanab, M.H. (1993). Lights on the national comprehensive strategy of education in Sudan. Dar el Nashr el Trbau. Khartoum, (In Arabic).
- (13) Ayoub, A.T. 1998. Extent, severity and causative factors of land degradation in the Sudan. Journal of arid environments 38 (3):397409-.
- (15) Blockhuis, W. A. 1993. Vertisols in the central clayey plains of Sudan. Washington

- (16) dissertation abstracts 158 (12).
- (17) Britannica. 2019. Teacher education, encyclopedia Britannica Inc, <https://britannica.com>
- (18) Casciarri, B. and Abdel Ghaffar M. Ahmed. 2009. Pastoralists under pressure in present-day Sudan: an introduction. *Nomadic people* 13 (1):1022-
- (19) Cox, G.W, and Atkins, M.D.1979. *Agricultural ecology*. Clarendon Press, Oxford.
- (20) Dawelbait, M. and Morari, F. 2012. Monitoring desertification in savannah region in Sudan using landsat images and spectral mixture analysis. *Journal of Arid Environments* 80: 4555-.
- (21) Dunstan, M. W. 1981. *The African –arab conflict in the Sudan*. African Publishing Co. New York.
- (22) Khalid, H. A S. and Babiker, I. B. 2012. Agricultural efficiency and trade liberalization in Sudan. *African journal of agricultural and resource economics* 7 (3115599-2016-), 5169-.
- (23) Ministry of Finance and Economic Planning. 1961. *The Ten Year Plan*, p. 7.
- (24) UNESCO. 1990. *Teacher education in Asia and the Pacific, vol.1: Overview*, UNESCO Principal Regional Office for Asia and the Pacific, Bangkok.

الفصل الثالث

الإنجازات الإدارية

للأستاذ الدكتور عبدالباقي عبدالغني بابكر

الإنجازات الإدارية

للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبدالغني بابكر

أستاذ مشارك - كلية التربية
جامعة الخرطوم

د. محمد سعد محمد سالم

مقدمة:

كان لقائي الأول بروفيسور عبد الباقي في منتصف السبعينات من القرن الماضي بداية لعلاقة عمر قوية وممتينة من الصداقة والأخوة. ولا أخفي أنني كنت الطرف المستفيد في هذه العلاقة إذ وجدت فيه من الخصال الكريمة من نخوة وتواضع وتسامح وإخلاص ما حبه إلي نفسي فأصبح صديقي الأول الذي أعتز وأفتخر به دوماً. وفوق ذلك فقد قدم لي الكثير من النصائح والمساعدات التي أفادتني كثيراً في حياتي العملية. بل كان له الفضل في ترشيحه لي لأخلفه أكثر من مرة في بعض الوظائف الإدارية. وأنا أعلم تماماً أن بروفيسور عبد الباقي لا يحب أن يغدق عليه الثناء والإطراء ولكنني قصدت أن أوضح للقاريء الكريم أن هذه الصلة الشخصية الوثيقة والممتدة هي التي أهلتني لأكتب عن مشاركاته وإنجازاته الإدارية.

السمات والعناصر الشخصية:

رأيت من الأفضل قبل أن أترسل في تناول المسيرة المتميزة والمشرقة في الإدارة الجامعية لبروفيسور عبد الباقي إلقاء الضوء على العناصر والسمات الشخصية الرئيسة التي أهلتته في تقديري للنجاح في العمل الإداري.

أولاً: كان بروفيسور عبد الباقي يحرص في بداية كل تكليف إداري أن يكون له ما يمكن أن يطلق عليه رؤية شاملة أو خطة إستراتيجية أو برنامج متكامل للعمل. وهذا التخطيط يحدد عادة الأهداف العامة والأولويات والتحديات وفرص النجاح... إلخ. ومن هذا المنطلق فإن التخطيط الإستراتيجي مهم جداً للإستعداد به ولقياس درجة نجاح ما أنجز من طموحات وأهداف في العمل الإداري. وفي تقديري أن

التركة أو « البصمة » من النجاح التي يخلفها أي إداري هي ناتجة في المقام الأول مما حققه في مجال الأهداف والغايات الكبيرة والقضايا الأساسية. فالتاريخ في كثير من الأحيان يتصرف بصورة إنتقائية مركزاً على الأحداث الكبيرة إيجاباً أو سلباً ومهملاً التفاصيل اليومية الصغيرة علي أهميتها.

ثانياً: رغم إهتمام بروفيسور عبد الباقي بالقضايا والأهداف الكبيرة في العمل الإداري إلا أنه كان في الوقت ذاته يحرص علي الإهتمام بمتابعة أدق التفاصيل الخاصة بالعمل الإداري اليومي. وبعبارة أخرى فقد توافرت له هذه الخاصية المتمثلة في الجمع بين الإهتمام بالقضايا الكبيرة والشؤون التفصيلية اليومية في العمل الإداري في آن واحد. ولقد كان في كل هذا مُحباً للنظام وحريصاً علي تطبيقه بدقة متناهية. ولقد كان هذا الحرص من الدعائم الأساسية لنجاحه في العمل الإداري. ثالثاً: كان بروفيسور عبد الباقي يحرص على تنفيذ العمل الإداري من خلال فريق للعمل (Team Work) سواء أكان رئيس قسم أم عميد كلية أم مدير جامعة، فهو يحرص دوماً أن يستنير ويسترشد بآراء زملائه أو رؤسائه. وحسب معرفتي به فإنه كان يمتاز بالإيقاع السريع وربما النشاط الزائد في تنفيذ أعماله الإدارية مما يجعل بعض أعضاء فريق العمل غير قادرين في بعض الأحيان علي مواكبته في العمل.

رابعاً: يتميز بروفيسور عبد الباقي بحرصه علي الجودة والإتقان في العمل الإداري ولعله في هذا كان يستهدي بحديث الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه). فقد كان يحرص أشد الحرص علي أن يتم العمل بإتقان تام وبصورة مرضية سواء كان العمل كبيراً مثل إعداد منهج دراسي، أم صغيراً مثل نظافة قاعة المحاضرات مثلاً. وكثيراً ما كان ينفعل إنفعالاً إيجابياً - إذا جاز التعبير - دون إساءة أو تجريح لأحد إذا رأي أن عملاً لم يتم بصورة صحيحة ومتقنة.

خامساً: عرف بروفيسور عبد الباقي بالتجرد والنزاهة وطهارة اليد في العمل الإداري، فعلى الرغم من كثرة وتعدد الوظائف الإدارية التي تولاها - كما سنري لاحقاً - وما يتصل بها أحياناً من ضغوطات أو إغراءات لم تُحم حوله إطلاقاً أي شبهة لإستغلال نفوذه مادياً أو غير ذلك.

سادساً: إن العامل الإنساني (Human Factor) كما يقولون مهم جداً في نجاح العمل الإداري.

ويقصدون بذلك مقدرة رئيس أو قائد العمل علي التواصل وحسن معاملة زملائه أو رؤسياه. ولعل بعض رؤسياه كان يرون أن بروفييسور عبد الباقي حازم ومتشدد بعض الشيء في تعامله معهم، ولكن من خلال صلتني الوثيقة به أشهد أنه إنسان بسيط ومتواضع وودود. وفوق ذلك كان يحرص كثيراً علي تفقد أحوال زملائه ورؤسياه في العمل وتقديم المساعدة لهم في صمت سواء كان ذلك علي المستوي المادي أم الإجتماعي، فهو حقيقة إنسان كريم الأخلاق وغير متعالٍ ومجاملٍ جداً في تعامله الإنساني مع الآخرين.

العمل الإداري في جامعة الخرطوم:

كانت المحطة الأولى لبروفيسور عبد الباقي في العمل الإداري عندما إختاره زملاؤه في عام 1975م، ليكون رئيساً لقسم الجغرافيا بكلية التربية بجامعة الخرطوم. وكانت نواة هذا القسم بمعهد المعلمين العالي الذي صُم نهائياً ورسمياً في عام 1974م، لجامعة الخرطوم وأصبح المعهد يعرف منذ ذلك التاريخ بكلية التربية. ولقد أصبح بروفييسور عبد الباقي رئيساً لهذا القسم لفترتين من 1975 الي 1981م؛ ومن 1988م الي 1990م. وكما هو معلوم فإن القسم العلمي في الجامعة هو الأصل في العمل الأكاديمي، من حيث تصميم المناهج الدراسية وتطويرها، ومتابعة كافة جوانب العملية التعليمية والبحثية. وبالتالي فإن رئاسة القسم هي في العادة الفترة التي يتدرب فيها عضو هيئة التدريس علي العمل في إطار فريق عمل مما يؤهله لتولي مناصب إدارية لاحقة في الجامعة. ومن خلال فترة رئاسته لقسم الجغرافيا - ومساهمة زملائه - أحدث تطوراً ملموساً في القسم بحيث يواكب تحديات الإنتقال من قسم بمعهد المعلمين العالي الذي كان يمنح خريجيه شهادة الدبلوم إلى قسم بجامعة الخرطوم يمنح خريجيه درجة البكالوريوس. ولقد تمكن بروفييسور عبد الباقي خلال فترتي رئاسته لقسم الجغرافيا من إرساء تقاليد ونظم أكاديمية راسخة جعلت هذا القسم من أميز أقسام كلية التربية، من حيث الأداء والسمعة العلمية الجيدة. وحقيقة فإن هذا القسم قد كان ولا يزال يرفد مدارس التعليم العام السودانية بأميز معلمي الجغرافيا.

لا شك أن نجاح بروفييسور عبد الباقي في رئاسة قسم الجغرافيا ونضوج شخصيته القيادية في العمل الإداري دفع زملاءه في كلية التربية بجامعة الخرطوم لإختياره عميداً لتلك الكلية في الفترة من 1990م الي 1993م.

ومن الإنجازات البارزة خلال فترة عمادته للكلية إشرافه، مع زملائه، علي إعداد برنامج تطوير أو إصلاح أكاديمي كامل وشامل لإعداد معلمي المرحلة الثانوية بالسودان. ولقد كان هذا التطوير - ضمن أسباب أخرى - إستجابة لتوصيات مؤتمر سياسات التعليم العام لعام 1990م وقرار وزارة التربية والتعليم بالتركيز علي تعيين خريجي كليات التربية في المرحلة الثانوية الحاصلين علي مرتبة الشرف مع التخصص في مادتين (بالإضافة طبعاً الي العلوم التربوية والنشاط)، بدلاً من التخصص في مادة واحدة كما كان الحال سابقاً. ولكن عندما

شارف برنامج التطوير الأكاديمي هذا علي الإنتهاء أُختير بروفييسور عبد الباقي لوظيفة إدارية أخرى كما سنري لاحقاً. وكان من حسن حظي عندما خلفته في عمادة الكلية أن قدمت هذا البرنامج الأكاديمي في مجلس الاساتذة بجامعة الخرطوم الذي أجازة في ديسمبر 1993م. وبالتأكيد فإن هذا الإنجاز ينسب الي بروفييسور عبد الباقي وزملائه ، وقد إنحصر دوري في تقديمي لهذا البرنامج في مجلس أساتذة الجامعة.

كان من التحديات المزعجة التي واجهت بروفييسور عبد الباقي إبان فترة عمادته التمدد والتغول العشوائي علي أراضي كلية التربية من الجهة الشرقية. ولقد بذل جهداً كبيراً وشاقاً ومتابعة مستمرة مع مصلحة الأراضي لإيقاف هذا التعدي على أراضي الكلية وإخراج من سكنوا بداخلها بصورة غير قانونية. وبعد أن نجح في تحقيق هذا الأمر قام بإنشاء سياج حسم بصورة نهائية النزاع علي أراضي الكلية من الجهة الشرقية. ولقد كان هذا إنجازاً كبيراً.

شهدت فترة عمادة بروفييسور عبد الباقي لكلية التربية أحداثاً سياسية صعبة في تاريخ جامعة الخرطوم، فهذه فترة ماعرف بالتمكين السياسي الذي أدي الي فصل بعض أعضاء هيئة التدريس للصالح العام. وفي تقديري إنه من حسن حظ كلية التربية أن كان علي سنامها الإداري في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الجامعة شخصية إدارية قوية، إذ دافع بروفييسور عبد الباقي عن الكلية وأساتذتها بقوة وإخلاص فجنبها بذلك هزة كان بإمكانها أن تؤثر علي مسيرتها وتهدد إستقرارها.

كذلك من النجاحات والإنجازات التي تنسب الي بروفييسور عبد الباقي خلال فترة عمادته أن قام بنقل ما كان يعرف بمركز ترقية أداء أعضاء هيئة التدريس (Centre Staff development)

إلى كلية التربية. ولقد كان المركز وحتى عام 1990م يقبع في مكتب صغير بإدارة

الشؤون العلمية. ولأسباب لا مجال لذكرها هنا لم يتمكن المركز حتي ذلك الوقت من القيام بالمهام والإختصاصات التي أنشئ من أجلها. وعقب إنتقال المركز مباشرة الي كلية التربية تم تنفيذ أول دورة تدريبية في طرائق وأساليب التدريس لمساعدى التدريس بالجامعة، ومن ثم توالى الدورات. ومهما يكن فإن إنتقال المركز إلى كلية التربية كان بداية لصفحة جديدة من النجاح والتفوق، إذ أن المركز يُعد حالياً من أهم وأنجح المراكز بالجامعة وتوسع نشاطه ليشمل عدداً متنوعاً من الدورات التدريبية المتخصصة. (يسمى حالياً مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم)

وبجانب كل ذلك فإن فترة عمادة بروفيسور عبد الباقي شهدت تطوراً ملحوظاً في التوسع والبناء الأكاديمي، إذ زاد عدد الأقسام العلمية والبرامج الدراسية وتعين أعداد مقدره من أعضاء هيئة التدريس ومساعدى التدريس والعمال. السيرة العلمية لبروفيسور عبد الباقي في السودان (خارج جامعة الخرطوم):

في عام 1993م تم إختيار بروفيسور عبد الباقي مديراً لجامعة وادي النيل خلفاً للبروفيسور محمد عثمان عبدالمالك. ولم يكن بروفيسور عبد الباقي غريباً على تلك الجامعة فقد كان في الفترة من 1988م الي 1990م، رئيساً لمجلس إدارة كلية التربية الجامعية بعطبرة، والتي كانت نواة فيما بعد لجامعة وادي النيل. وأشهد - وقد كنت عميداً لكلية التربية بعطبرة في الفترة 1984م الي 1990م- أنه ومن خلال حسن إدارته قدم للكلية الكثير من الدعم مما ساعدها أن تتجاوز فترة صعبة في تأسيسها.

لقد كانت جامعة وادي النيل عندما تولي بروفيسور عبد الباقي أمر إدارتها في عام 1993 ممتدة على طول ما كان يعرف وقتها بالأقليم الشمالي، وتنتشر كلياتها من حلفا شمالاً الي شندي والمتممة جنوباً. وهذا الإنتشار الطولي جغرافياً - إضافة الي أسباب أخرى- جعل أمر إدارتها شاقاً وصعباً لوجستياً ومالياً. وتبعاً لذلك صدر قرار في أوائل عام 1994م نص علي تقسيم الجامعة الي ثلاث جامعات علي أن تسمى جامعة عطبرة، وجامعة شندي، وجامعة دنقلا. ولقد عدل مسمى جامعة عطبرة بعد ذلك بقليل الي جامعة وادي النيل. وبعد الإتفاق على تقسيم الأصول أصبح بروفيسور عبد الباقي مديراً لجامعة وادي النيل بحدودها الجغرافية الجديدة، (منطقة عطبرة- الدامر - بربر).

في خلال فترة عمله بجامعة وادي النيل- قبل وبعد التقسيم - كان من أولويات بروفيسور عبد الباقي أن يستكمل العمل الذي بدأه سلفه من حيث البناء الأكاديمي

بإرساء تقاليد ونظم وقوانين جامعية راسخة تضاهي ما هو معمول به في أرقى الجامعات. وتبعاً لذلك قام بتكوين لجان فنية لمراجعة ملفات شروط تعيين وترقيات أعضاء هيئة التدريس وكذلك مراجعة ملفات خدمة الإداريين والموظفين والعمال بالجامعة. وفي تقديري أن بروفييسور عبد الباقي كان في كل ذلك وخاصة في مجال ترقيات أعضاء هيئة التدريس يستهدي بلوائح وتقاليد جامعة الخرطوم. ومهما يكن فإن تلك اللجان الفنية التي كانت تعمل بمهنية وموضوعية وتجرد ونزاهة أصدرت توصياتها التي التزم بروفييسور عبد الباقي بتنفيذها. وكان من ضمن تلك التوصيات مراجعة ترقيات بعض أعضاء هيئة التدريس. كما كان من ضمن تلك التوصيات التي قام بروفييسور عبد الباقي بتنفيذها نقل بعض الإداريين المعادلين الي حلفا ودنقلا وشندي والمتممة للإستفادة من خبراتهم علي مستوى كل كليات الجامعة، التي كما ذكرنا كانت في البداية تمتد علي طول ما كان يعرف بالأقليم الشمالي من حلفا شمالا الي شندي جنوباً. وقد كان من الطبيعي أن هذه القرارات التي اتخذها بروفييسور عبد الباقي لم تعجب بعض أعضاء هيئة التدريس الذين عدلت ترقياتهم، وكذلك لم تعجب بعض الإداريين المعادلين الذين لم يكونوا يرغبون في العمل خارج منطقة عطبرة - الدامر. وفي الحقيقية فإن تلك المراجعات وما ترتب عليها من قرارات إدارية صعبة كانت نابعة مما ذكرنا من بعض الخصائص والسمات الإدارية لبروفيسور عبد الباقي القائمة علي النظرة الشمولية والسعي لتجويد وإتقان العمل والحرص الشديد علي إرساء وإحترام القوانين والتقاليد الجامعية. ومن جهة أخرى كان من الطبيعي أن تؤدي هذه القرارات إلي إحتجاجات وتذمر من بعض المتضررين. وللأسف تزامن هذا التذمر مع ظهور بعض الصراعات والتكتلات السياسية والمصلحية وسط بعض أساتذة وإداريي الجامعة. وكان موقفاً حرجاً لبروفيسور عبد الباقي وهو المستقل سياسياً وغير المنظم حزبياً أن يجد نفسه في خضم صراعات سياسية حادة بعيدة عن الأطر الأكاديمية. وإذا جاز لي التعبير فإن عدم الإنتماء الحزبي لبروفيسور عبد الباقي هو مصدر قوته ومصدر ضعفه في آنٍ واحد في تلك الظروف. ومهما يكن فليس صحيحاً ما أشيع من البعض لاحقاً أن هذه الصراعات والتكتلات كانت السبب المباشر في إعفاء بروفييسور عبد الباقي من إدارة الجامعة. فحسب علمي فقد كان يعمل في تناغم وإنسجام تام مع مجلس الأساتذة وكذلك مع رئيس مجلس الجامعة. وحسب صلتني الوثيقة ببروفيسور

عبدالباقي فقد كنت أعلم أن بعض الأسباب الأسرية والشخصية هي التي دفعته أن يقدم إستقالته من إدارة جامعة وادي النيل.

من الأعمال البارزة في فترة إدارة بروفيسور عبدالباقي لجامعة وادي النيل هو إشرافه ومتابعته لإنشاء كلية إعداد المعلمين للتعليم الأساسي بالدامر وذلك تنفيذاً لسياسة الدولة آنذاك التي نصت على أيلولة عدد من كليات ومعاهد التعليم العام للجامعات بغرض إعداد وتأهيل معلمين للتعليم الأساسي. ومما يجدر ذكره فإن مباني كلية الدامر ليست الوحيدة التي ضمت مبانيها للجامعة في عهده. فقد كان حقيقة هنالك صراع طويل بين حكومة ولاية نهر النيل والجامعة حول أيلولة بعض المباني. ولقد وفق بروفيسور عبدالباقي بعد جهد كبير في الوصول الي إتفاق مع حكومة الولاية آلت به بعض الأراضي والعقارات للجامعة بالدامر ومنها المبني الذي أصبح لاحقاً مقراً لإدارة الجامعة. أضف الي ذلك أيلولة إستراحة السكة حديد بعطبرة الي ملكية الجامعة. وخلاصة القول فإن إنجازات بروفيسور عبدالباقي في فترة إدارته لجامعة وادي النيل والتي بلغت مدتها حوالي سنة ونصف كانت متعددة وكانت كلها في النهاية تصب في هدف كبير هو إرساء تقاليد وقوانين جامعية راسخة ومحترمة، مما أعطي تلك الجامعة سمعة علمية طيبة لا تزال تحافظ عليها. وفي عام 1997م، قدر لبروفيسور عبدالباقي أن يواجه تحدياً جديداً في العمل الإداري إذا إنه عين مديراً للجنة التعليم العالي الأهلي والأجنبي والتي كانت وقتها تتبع للإدارة العامة للتخطيط بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي. ولقد تم ترفيع هذه اللجنة في فترة إدارة بروفيسور عبدالباقي الي إدارة عامة مستقلة بالوزارة.

لم تكن تجربة التعليم العالي الأهلي جديدة؛ إلا أن بداية التسعينيات من القرن الماضي شهدت تزايداً كبيراً في هذا المجال. وكان من مهام هذه الادارة الجديدة التصديق بإنشاء مؤسسات تعليم عالٍ جديدة بعد التأكد من إستيفاء المناهج الدراسية وأعضاء هيئة التدريس والبنىات التحتية المتمثلة في القاعات والتجهيزات والمعامل وغير ذلك من المعينات التعليمية المطلوبة لإنشاء مؤسسة للتعليم العالي متوافقة مع متطلبات التعليم العالي علي مستوى عالمي.

كما هو متوقع من بروفيسور عبدالباقي الذي عرفنا بعض جوانب شخصيته المتمثلة في الحرص على المؤسسية وتطبيق النظم واللوائح بدقة متناهية، فقد بدأ عمله في هذه الإدارة من خلال تكوين لجان فنية ممن لهم خبرة وكفاية من أعضاء

هيئة التدريس بالجامعات. وكان عمل هذه اللجان يتم وفق زيارات ميدانية للاطمئنان على أن الضوابط التي تم وضعها قد تم استيفائها بصورة كاملة تمشياً مع المعايير العالمية لضمان جودة التعليم العالي. ولقد عرض هذا الأسلوب المنهجي المؤسسي في العمل الإداري بروفيسور عبدالباقى لكثير من الضغوط والشكاوى، بل أحياناً الاغراءات المادية من بعض أصحاب المؤسسات التعليمية الخاصة والأجنبية الذين كانوا يسعون لنيل التصديق في أسرع وقت ولو أدى ذلك في رأيهم إلى تخطي النظم والقوانين.

في تقديري أن فترة بروفيسور عبدالباقى في إدارة التعليم العالي الأهلي والأجنبي كانت من أصعب التجارب التي مر بها للضغوط التي تعرض لها كما رأينا، كما إنها كانت في نفس الوقت من أنجحها. فقد أدى عمله في هذه الإدارة مؤسسية ونجاح منقطع النظير وذلك بشهادة الكثيرين ممن عاصروه وعرفوه. ومرة أخرى فإن هذا النجاح يعزى لما عرف به بروفيسور عبدالباقى من صفات- كما ذكرنا- أميزها إحترام المؤسسة واللوائح والنزاهة وطهارة اليد. ومهما يكن فقد ظل مديراً لهذه الإدارة لمدة ست سنوات وهي فترة طويلة نسبياً، ولم يتركها إلا وقد أسس وأرسى لها ضوابط وتقاليد أكاديمية وإدارية منضبطة وراسخة ظلت تسير عليها حتى اليوم.

في عام 2003م كلف بروفسور عبدالباقى بعمل إداري تأسيسي جديد؛ إذ عين أول رئيس للهيئة العليا للتقويم والاعتماد بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي. ومن المعروف أن الالفية الثالثة شهدت تبني الدول المتقدمة والنامية ماعرف بأنشطة التقويم والاعتماد بمؤسسات التعليم العالي كضمان لجودة الأداء وتأمين مخرجات توائم المستوى العلمى. ولتحقيق ذلك أنشأت كثير من الدول مجالس أو هيئات أو وكالات لضمان الجودة وتعزيزها في التعليم العالي لغرض التأكد من أن التعليم العالي يوائم المتغيرات العالمية ويستجيب لحاجات المجتمع وسوق العمل المتغيرة. وحرصاً من وزاره التعليم العالي والبحث العلمي على ألا يبقى السودان بعيداً عما يجري في العالم من تطور نوعي في مؤسسات التعليم العالي وجودة مخرجاته البشرية والبحثية والاستشارية أنشأت الوزارة هذه الهيئة لتكون ذلك الجهاز العلمى والفنى الذى يعمل على وضع معايير أداء لضمان جودة التعليم العالي في مؤسسات التعليم العالي السودانية.

كانت إستراتيجية العمل التي وضعها بروفيسور عبدالباقى قائمة على أن مفاهيم ضمان الجودة والاعتماد، وبما انها كانت مفاهيم حديثة نسبياً، لايمكن تطبيقها بقرارات فوقية من الهيئة الى منسوبي مؤسسات التعليم العالي، بل لابد في البداية من تعريف

وتثقيف منسوبي تلك المؤسسات وإقناعهم بأهمية هذه المفاهيم الجديدة. وتبعاً لذلك أعدت الهيئة خطة إعلامية تثقيفية تهدف إلى التوعية ونشر ثقافة الجودة والاعتماد في مؤسسات التعليم العالي.

ولتحقيق ذلك قامت الهيئة على سبيل المثال لا الحصر بالاتي:

1. إقامة دورات تدريبية عن ضمان الجودة والاعتماد لمئات من أعضاء هيئة التدريس الذين أصبحوا لاحقاً نواة لإنشاء وحدات التقويم الذاتي والجودة في مؤسسات التعليم العالي.
2. إعداد الكتب والنشرات التعريفية عن مفاهيم ضمان الجودة والاعتماد.
3. إعداد ماعرف ب«دليل المعايير الوطنية لضمان جودة التعليم العالي في السودان».

لقد بدأ العمل في إعداد هذا الدليل عندما كون بروفيسور عبدالباقى لجنة برئاسته لانجازه. ولقد إستغرق إعداد الدليل عدة سنوات ولم يكتمل في فترة عبدالباقى ولكن كان له الفضل في بداية هذا العمل. ومهما يكن فقد تم إعداد هذا الدليل وفق المعايير والمؤشرات العالمية ولكن في ذات الوقت لتتناسب وتتوافق مع واقع مؤسسات التعليم العالي السودانية. وفي رأيي أن إعداد هذا الدليل يُمثل أهم إنجازات الهيئة فهو عمل أكاديمي تدريبي مُتقن. ولقد إستفادت كثير من لجان الجودة والتقويم الذاتي بمؤسسات التعليم العالي السودانية من هذا الدليل في عملها فيما يخص الاعتماد الأكاديمي لبعض برامجها.

وخلاصة القول أن بروفيسور عبدالباقى نجح في فترة إدارته للهيئة العليا للتقويم والاعتماد في تحقيق خطته القائمة على التعريف ونشر ثقافة الجودة والاعتماد في مؤسسات التعليم العالي السودانية. كما نجحت الهيئة في عهده في تقديم المشورة والمساعدة لمؤسسات التعليم العالي في عمليات التحسين والتعديل خاصة في مجال تطوير المناهج وربطها بأهداف المجتمع والبيئة المحلية ومواكبتها للمستويات العالمية، وكذلك في مجال رفع قدرات أعضاء هيئة التدريس والإدارات الأكاديمية.

في عام 2015م، تم تعيين بروفيسور عبدالباقى أول رئيس لمجلس المهن التربوية والتعليمية. وكان قانون هذا المجلس قد أُجيز من المجلس الوطنى في أواخر عام 2014م وأصبح المجلس يتبع مباشرة لمجلس الوزراء. وفي الحقيقه فإن نجاح هذا المجلس كان تحقيقاً لما كان ينادى به العديد من التربويين منذ مدة طويلة بأن

السبيل إلى إصلاح التعليم يتطلب «تهيئته» بحيث تصبح مهنة التدريس معاييرها وأسسها ومبادئها وأخلاقياتها. هذا وقد إرتبط التمهين بالاجازة أو الترخيص لمزاولة المهنة كما هو الحال في مجالات الطب والهندسة والمحاماة...الخ. ويقصد برخصة مزاولة مهنة التدريس « السماح لشخص ما بممارسة مهنة التدريس من قبل جهة أو هيئة ذات مصداقية تقوم بتقويم أداء المعلمين في ضوء مجموعة من المعايير التي تتفق ومتطلبات تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية للنظام التعليمي» ومهما يكن من أمر فإن بروفيسور عبد الباقي ولفترة حوالي خمس سنوات ظل قائداً لفريق عمل من الأكاديميين والإداريين الذين نجحوا في وضع الأسس والمعايير الخاصة بمجلس المهن التربوية والتعليمية الوليد. ولا بد أن أؤكد هنا أن عمل المجلس كان يتم أساساً من خلال لجنة فنية من الخبراء التربويين برئاسة بروفيسور عبد الباقي. ولقد إستعانت هذه اللجنة بتجارب العديد من الدول في وضعها للمعايير والشروط الخاصة بعمل المجلس. وليس من إختصاص هذه الورقة أن تتعرض بالتفصيل لمهام وإختصاصات المجلس. ولكن لعله من المناسب أن أذكر أن اللجنة ركزت في عملها علي تحقيق أهم إختصاصات المجلس المتمثلة في:-

1. وضع الخطط والبرامج اللازمة لترقية المهن التربوية، ووضع معايير التدريب اللازمة لذلك.

2. الموافقة علي تسجيل المعلمين لمزاولة مهنة التدريس في المؤسسات التعليمية وفق مؤهلات وشروط محددة بحيث لا تصبح مهنة التدريس مهنة من لا مهنة له. وكما حدث في الهيئة العليا للتقويم والإعتماد، فإن بروفيسور عبد الباقي بدأ عمله كذلك في مجلس المهن التربوية والتعليمية بخطة إعلامية تثقيفية لعمل المجلس من خلال المحاضرات والندوات والنشرات واللقاءات. كما أن المجلس تواصل مع كليات التربية السودانية للتأكد من أن البرامج الدراسية مصممة بصورة كافية وفق المعايير العالمية لإعداد المعلمين. غير أن النشاط الكبير للمجلس كان في وضع الشروط العامة للإلتحاق بمهنة التعليم وكان الشرط الأساسي أن يكون المتقدم لمهنة التدريس من خريجي إحدى كليات التربية أو حاصلاً علي مؤهل تربوي إن لم يكن خريجاً في كلية تربية. وللحصول علي رخصة مهنة التدريس كان علي المتقدم أن يجتاز أولاً إمتحان تحريري يشمل مجالات التخصص

و الكفايات المهنية والكفايات اللغوية والثقافة العامة. وكانت الخطوة التالية أن من اجتازوا الإمتحان التحريري، حسب المستوى المطلوب، يخضعون لمقابلة شخصية حيث يتم تقويمهم وفق إستمارة تشمل عدداً من السمات المهنية والسلوكية المطلوبة لدى أي معلم. وكان العمل سواء في الإمتحان التحريري أو المقابلات يتم بإنضباط ومهنية وموضوعية بواسطة لجان من الخبراء التربويين وبدون أي تحيز. ومهما يكن فقد وفق المجلس في عقد عدداً من الإمتحانات التحريرية والمقابلات الشخصية ومن ثم منح رخصة مزاولة مهنة التدريس لآلاف من المتقدمين. وخلاصة الأمر أن بروفيسور عبد الباقي مُستعيناً بفريق عمل متميز من الخبراء التربويين كما ذكرنا، نجح نجاحاً كبيراً في إرساء دعائم مجلس المهن التربوية والتعليمية وفق معايير وشروط واضحة ومتسقة مع المعايير العالمية. إنجازات ونجاحات إدارية خارج السودان:

لم يقتصر الأداء الإداري لبروفيسور عبد الباقي علي السودان فقط وإنما امتد الي بعض الدول العربية. ففي الفترة 1983م الي 1988م، إنتدب للعمل بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - فرع أبها- وكان وقتها في درجة أستاذ مشارك. وفي السنة الأولى من عمله بتلك الجامعة، عين نائباً لرئيس قسم الجغرافيا - فرع أبها، ولقد أثبت جدارته في ذلك الموقع الإداري فتم ترفيعه في العام التالي 1984-1985م، إلى رئيس قسم الجغرافيا، وهو الموقع الذي ظل يشغله حتي نهاية إعارته في عام 1988م. ومن المعلوم أن الجامعات السعودية- وحسب سياسة التوطين المتبعة فيها - تخصص الوظائف الإدارية فيها عادة للسعوديين، وقل أن يعين غير سعودي في وظيفة إدارية. وبصفة خاصة فإن جامعة الإمام محمد بن سعود التي كان يعمل بها بروفيسور عبد الباقي من الجامعات السعودية المحافظة والأكثر تمسكاً بسياسة التوطين. وهذا كله يدل علي أن بروفيسور عبد الباقي قد أثبت جدارة كبيرة وتميزاً ملحوظاً لينال تلك الوظيفة الإدارية . ومهما يكن فقد كان بروفيسور عبد الباقي موضع رضا من إدارة تلك الجامعة ومن منسوبي ذلك القسم الذي شهد إستقراراً وتطوراً أكاديمياً ملحوظاً في عهده.

كان يمكن لبروفيسور عبد الباقي في ضوء ما ذكرناه من نجاح أن يستمر إذا رغب في العمل بجامعة الإمام محمد بن سعود لسنوات عديدة، ولكنه إنطلاقاً من

إلتزامه بقوانين الإعارة في جامعة الخرطوم آنذاك ، والتي تحدد مدة الإعارة بخمس سنوات أثر أن ينهي عقده ويعود للعمل في وطنه في جامعة الخرطوم. وذلك السلوك والنهج يتواءم وينسجم لعمري مع شخصية بروفييسور عبد الباقي الملتزمة إلتزاماً دقيقاً بالقوانين واللوائح ولو كان ذلك على نفسه.

إن الخبرة الإدارية الثرة التي إكتسبها والنجاح الذي حققه في مواقع مختلفة - كما رأينا- أهله في عام 2006م، أن يحظي بنيل وظيفة عميد البرامج الأكاديمية في التربية بالجامعة العربية المفتوحة بالكويت. وهي حقيقة وظيفة كانت مفتوحة للتنافس علي مستوي العالم العربي. ولا شك أن كثيراً من التربويين كانوا يتطلعون لنيلها ولذلك فإن حصول بروفييسور عبد الباقي على تلك الوظيفة المرموقة هو إعتراف بمقدراته ونجاحاته الإدارية، بل أن بروفييسور عبد الباقي - كما علمت منه - كلف أن يكون نائباً لرئيسة (مديرة) هذه الجامعة لمدة ستة شهور. وعلي كل حال فإن عمله بالكويت كان في المقام الأول يركز علي البناء الأكاديمي في مجال التربية من حيث وضع الأسس الأكاديمية للمناهج والمقررات الدراسية والإشراف علي تأليف وطباعة وتوفير المراجع المنهجية. كما إشتمل عمله بتقوية صلة الجامعة العربية المفتوحة مع الجامعة البريطانية المفتوحة. أضف الي ذلك انه نجح في إقامة علاقة مع جامعة هارفارد في أمريكا لتدريب بعض أساتذة كليات التربية عن بعد (Online)، وخلاصة الأمر أن بروفييسور عبد الباقي نجح تماماً في فترة عمله بالكويت في إرساء تقاليد ونظم راسخة في مجال البرامج الأكاديمية للتربية. هذا و بعد إكمال خمس سنوات للعمل بالكويت - وهي المدة المخصصة للإعارة - أثر بروفييسور عبد الباقي أن يعود للعمل بجامعة الخرطوم. ولكن لم تنقطع صلته بالجامعة العربية المفتوحة فقد أصبح في الفترة من 2015م الي 2017م مديراً لفرع تلك الجامعة بالسودان.

الخاتمة:

أرجو أن أكون قد وفقت في إلقاء الضوء على بعض جوانب السيرة الإدارية لبروفييسور عبد الباقي وما حققه من نجاحات وإنجازات . وفي الحقيقة إن ما ذكرته لا يشمل كل جوانب سيرته الإدارية وإنما إكتفيت باعطاء أمثلة لأبرز الوظائف الإدارية التي شغلها. فالمطلع على السيرة العلمية (C.V) لبروفييسور عبد الباقي ينبهر بتعدد وتنوع نشاطاته ومشاركاته. فقد عمل رئيساً لكثير من اللجان الفنية خاصة في مجال إعداد المناهج الدراسية سواء على مستوى التعليم العام أو التعليم العالي.

ومما يجدر ذكره هنا أنه عمل لعدة سنوات رئيساً للجنة الدراسات التربوية بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتي من أهم إختصاصاتها رفع التوصيات للمجلس القومي للتعليم العالي والبحث العلمي بشأن وضع المؤشرات الخاصة بتصميم وتطوير المناهج الدراسية في مؤسسات التعليم العالي. كما كان له مشاركاته الكثيرة في مجال التطوير المهني للأساتذة في عدد من الجامعات السودانية خاصة من خلال مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم والذي كان قد عمل مديراً له لفترة من الزمن ولا يزال حتي الآن مشاركاً كأستاذ في بعض دوراته. وبجانب ذلك فقد عمل بروفيسور عبد الباقي مستشاراً للجودة والإعتماد الأكاديمي على المستوى المحلي والإقليمي. وفي الختام أرجو أن أشير إلى أن هذا المقال هو واحد من عدد من مقالات تناول فيها زملاء آخرون جوانب مختلفة من السيرة العلمية والذاتية لبروفيسور عبد الباقي. وهذه المقالات مجتمعة تعطي صورة متكاملة عن رجل متعدد المواهب جم النشاط مخلص في أدائه، مما أهله لتقديم خدمات جليلة لوطنه في مجالات كثيرة.

الهوامش:

- (1) محمد عثمان السمانى. التعليم العالي الأهلي في السودان 1966-2002م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الخرطوم، 2002م.
- (2) منشورات الإدارة العامة للتعليم العالي الأهلي والإجنبي والخاص. الخرطوم(السودان):وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- (3) منشورات الهيئة العليا للتقويم والإعتماد.الخرطوم(السودان):وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- (4) مقابلة شخصية مع بروفيسور عبدالباقي بابكر، بتاريخ الأحد 2021/12/5م.

الفصل الرابع

الأدوار الاجتماعية والتربوية

للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر

الأدوار الاجتماعية والتربوية

للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر

أ.د. سمير محمد علي الرديسي

مقدمة:

لقد درجت الأمم على الاهتمام بمعرفة سير علماءها ومصلحي شأنها حيث ظهر الكثير من المؤلفات على مدار الأزمنة التاريخية القديمة والحديثة. ويكثر في السودان تداول التاريخ الشفاهي لأولئك الأعلام إلا أن التوثيق العلمي لها يكون قليلاً أو غير موجود في الأصل. وفي جامعة الخرطوم برز الكثير من العلماء الذين اثروا الحياة العلمية والثقافية والسياسية ولا يوجد إلا شذرات من ذكر لهم هنا وهناك. ويعتبر هذا ضياعاً لثروة الفكر الثاقب الذي يمكن أن يفيد في توفير رؤى تساهم في حل بعض المشكلات الراهنة، خاصة وأن ذلك الفكر ذو ارتباط بالحياة الاجتماعية للمواطنين. وفي سبيل البدء في فتح طريق لتوثيق تلك الأدوار لأولئك الأعلام يهدف هذا المقال لإجراء قراءة استطلاعية تحليلية للأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر ذات الصلة بمؤسسات التعليم العالي والعام وبالشأن المجتمعي العام لتوضيح قيمتها الاجتماعية والاستفادة منها في تكوين أنموذج يقتدى به في العمل الاجتماعي. شملت مصادر البيانات كل من السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر، والمقابلة الشخصية معه بتاريخ 29 ديسمبر 2021. اتبع الكاتب منهجاً استطلاعياً - تحليلي Exploratory-Analytical Approach أعتبره الأنسب للتعرف على ملامح وخصائص تلك الأدوار حيث اتضح وجود أدوار اجتماعية وتربوية مميزة ومقدرة تتسم بالثراء والتنوع في خدمة المجتمعين العلمي والمحلي. يفتح هذا نافذة للباحثين بضرورة توثيق سير الأساتذة في الجامعات السودانية والشخصيات المؤثرة في المجتمعات المحلية أسوة ببقية الأمم.

ملاحح الأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر:

يتضح الملمح العام للأدوار الاجتماعية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر من قراءة سيرته الذاتية حيث يتضح وجود ارتباط قوي بين تلك الأدوار الاجتماعية وطبيعة المهام الإدارية التي اضطلع بها. ذلك أن الكثير من تلك الأدوار الاجتماعية يكون مضمناً في مهام تلك الوظائف الإدارية التي تقلدها. بجانب ذلك هناك أدوار اجتماعية وتربوية ارتبطت بمرتبه العلمية الأكاديمية «بروفيسور»، وأخرى بمحيطه المجتمعي على المستوى الدقيق. وبناءً على ذلك يمكن تقسيم الأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني وفق الآتي:

الدور الاجتماعي والتربوي المرتبطة بالمهام الإدارية :

للمناصب الإدارية أدوار اجتماعية وتربوية واجب القيام بها ذلك أن المسؤول الإداري هو في الأساس يمثل المؤسسة التي يعمل فيها وهو الواجهة المباشرة في التعامل مع الجهات المختلفة إنابة عن تلك المؤسسة. لقد تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر عدداً كبيراً من المناصب الإدارية داخل جامعة الخرطوم وخارجها. ومن خلال تلك الأعباء الإدارية يمكن لنا رصد أدوارها الاجتماعية والتربوية. وفي العادة تسود الأدوار الاجتماعية حياة الأفراد حيث يدركون أنفسهم في أطر أدوارهم التي يقومون بها. فالأدوار الاجتماعية المختلفة للأفراد ترمي لإيجاد قيمة تشكل سلوكهم بقوة تجاه الأفراد الآخرين والذين بدورهم يرون أدوار أولئك الأفراد بأنها ذات قيمة أو أنها عديمة القيمة (Wolensberger, 2000). وهناك بعض النماذج التي توضح الدور الاجتماعي للمديرين توجد في الأدبيات المتاحة وتشمل النموذج الهندسي، والنموذج الاقتصادي، ونموذج إدارة القيم، ونموذج المنظومة الرسمية، والنموذج السياسي. وتوفر هذه النماذج، رغمًا عن الاعتمادية الكاملة عليها، رؤى نظرية مهمة عن علاقة الأخلاق بعملية اتخاذ القرار الإداري والذي يمكن استخدامه في تقصي الأسباب المحددة (Boatright, 1988). ويتحدد البعد الأخلاقي للإدارة في الدور الاجتماعي الذي يفهمه المديرون عند قيامهم بالمهام الإدارية. ومثال ذلك نجد أن المديرون هم العناصر العاملة نيابة عن الرئيس أو العميل، وهم الأمناء trustees لمختلف المكونات المتعاونة وهم شركاء مع المسؤولين الحكوميين في نظام متكامل للنظام السياسي. وهناك طريقة أخرى لفهم الدور الاجتماعي للمديرين ينظر للمدراء كموظفين خادمين. وفي المجال

الحكومي نجد أن السلطة التشريعية هي سلطة تخدم مصالح أولئك الذين تطبق عليهم. وعلى ذلك، يجب النظر للمديرين ليس كخدام للمشاركين stakeholders فقط، بل كخدام للمخدّمين (McMahon, 2015).

تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر رئاسة قسم الجغرافيا لعدة دورات في بواكير حياته العملية ومن المحتم قيامه ببعض الأدوار الاجتماعية والتربوية المرتبطة بذلك العمل الإداري المباشر مع الاساتذة والطلاب. وتعتبر الأقسام الأكاديمية النواة الأولى في التكوين الهيكلي الأكاديمي للجامعات. تقوم الأقسام بتنفيذ المهام التدريسية والبحثية لأعضاء هيئة التدريس والقيام بمهام الإشراف الأكاديمي للطلاب وتنفيذ الرحلات العلمية ضمن المنهج المجاز من الجامعة المعنية. وفي داخل هذه المهام الرسمية يمكن أن توجد أدوار اجتماعية لأعضاء هيئة التدريس وخاصة رئيس القسم الذي يتلمس مشاكل الطلاب الأكاديمية والاجتماعية والأسرية وحتى النفسية أكثر من غيره من زملائه أعضاء هيئة التدريس. يقوم قسم الجغرافيا بكلية التربية جامعة الخرطوم سنوياً بتنفيذ رحلتين عمليتين، إحداها ثابتة إلى منطقة السبلوقة والأخرى لأي جزء من السودان يتم اختياره. وفي العادة تستغرق الرحلة الأخيرة هذه أسبوعين كاملين. وخلال تلك الرحلات يوجد الإشراف الأكاديمي والإداري ثم الإشراف على توفير احتياجات الأكل والشرب ومكان النوم. يتضح دور رئيس القسم أكثر من غيره من الأساتذة حيث يقع على عاتقه مهام تنظيم جميع تلك المهام منذ بدء التفكير في كيفية تنفيذ تلك الرحلات. وبحكم الظروف التي قد يمر بها الطلاب فقد تستجد أوضاع تتطلب تقديم الدعم الطبي والعلاجي حيث يتم الاتصال بتلك الجهات في بعض أصقاع الريف السوداني في أوضاع قد لا يوجد فيها كادر طبي أعلى من مرتبة ممرض. يمتد الدور الاجتماعي والتربوي لرئيس القسم لمساعدة الطلاب المعسرین مالياً بالاتصال بالجهات الرسمية داخل الجامعة أو خارجها أو ببعض أعضاء هيئة التدريس لمقابلة حل تلك المشكلة. كما قد يعاني بعض الطلاب من بعض المشاكل الأكاديمية مما يتطلب من رئيس القسم السعي لحلها مع إدارة الكلية أو أستاذ المادة وغيرهما. تتسع دائرة مهام رئيس القسم وتزداد الأدوار الاجتماعية والتربوية عند تولي أحد أعضاء هيئة التدريس مهام عمادة الكلية. يقوم عميد الكلية بمهامها نيابة عن مدير الجامعة وبذلك يعتبر مسؤولاً عن جميع العاملين فيها من طلاب وأساتذة وعاملين بجانب التعامل مع الجهات الخارجية وخاصة المجتمعية. وهنا تتعدد الأدوار

من الأدوار الأكاديمية الرسمية إلى الأدوار الاجتماعية والتربوية المتشعبة. ففي مجتمع واسع كهذا تختلف وتعدد المشكلات. تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام عمادة كلية التربية في الفترة بين 1990-1994م بذل خلالها جهوداً اجتماعية مقدرة على سبيل المثال وليس الحصر توليه مهام المنسق لاتفاقية التعاون والتبادل بين كلية التربية جامعة الخرطوم وكلية التربية جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد تمكن عدد من أعضاء هيئة التدريس بالكلية من الذهاب لجامعة بنسلفانيا وتنفيذ عدد من البحوث في مجال التربية أكسبهم الخبرة البحثية والاستفادة من أجواء البحث العلمي في العالم المتقدم. كما تقلد مهام رئاسة لجنة عمداء كليات التربية السودانية 1990-1991 إبان توليه مهام عمادة كلية التربية والتي كان عددها قليلاً آنذاك مما استدعى طرح الحلول لمواكبة الطلب المتزايد على المعلمين في السودان نتيجة للنمو السكاني والطلب الإقليمي للمعلمين. وقد ساهمت بعض تلك الجهود في هيكلة تدريب المعلمين في السودان كما سيأتي ذكره وفي تطوير فلسفة وأدوار كليات التربية. كما وفرت تلك الجهود في اكتساب ثلاثة وخمسون وظيفة جديدة لمساعدتي التدريس لمختلف الأقسام والتعيين عليها من خريجي الكلية المتميزين وثلاثة عشر وظيفة تقني جديدة لمعامل الكلية المختلفة بجانب تسوير الكلية من الناحية الشمالية. اتسعت الأدوار الاجتماعية عندما تولى الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام منصب نائب مدير جامعة الخرطوم بالتكليف. ومن المتفق عليه أن للجامعات أدوار في إعداد القوى البشرية اللازمة والمدرّبة للنهوض بالمشروعات الاقتصادية والاجتماعية وتزويدها بالمعارف والقيم التي يتطلبها العصر الحديث (عبد الحي، 1998). وتهتم جميع الجامعات في العالم بتقديم الخدمات الاجتماعية والتربوية للمجتمعات المختلفة داخل الدولة الواحدة بالتركيز على المجتمعات الفقيرة. وقد عهدت جامعة الخرطوم دعم القوافل الطلابية المختلفة التي تهتم بتقديم الخدمات الطبية والإرشاد الزراعي وغيرها. يتم دعم هذه القوافل من عمادة الطلاب وفق ميزانية تخصصها الجامعة إضافة لجمع الدعم من الجهات الأهلية والاتصال بالإدارات المحلية في المناطق المستهدفة والتي توفر مكان الإقامة وبعض الدعم الممكن تقديمه. وهنا يلعب نائب مدير الجامعة دوراً اجتماعياً واضحاً في دعم تلك القوافل الطلابية. ويعتبر هذا جزءاً من النمو المهم للمعرفة والبحث ونشر التحديث لتغيير الدور الاجتماعي والتربوي للجامعات في العالم «المتعولم». ضمن مفاهيم متعددة. أحد

هذه المفاهيم والأكثر شيوعاً والتي تستخدم للاقتراب من تلك التغيرات في مجتمعات ما بعد-التصنيع وبعد-الحدثة هو مفهوم «مجتمع المعرفة». وهنا يتوقع هنا أن للجامعات أدوار واضحة بالاعتبار لمختلف تساءلات مجتمع المعرفة حيث من الممكن تحليل استخدامات هذا المجتمع كوسيلة تتسم بالعقلانية (Valimaa et al. 2008).

يقدم مركز ترقية الأداء الأكاديمي والذي عدّل اسمه إلى مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم مؤخراً، الكثير من الدورات التدريبية لمنسوبي التعليم العالي تهدف لترقية أدائهم التدريسي والبحثي. وقد عمل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر كأول مدير متفرغ لذلك المركز فترة من الزمان قدّم فيه جهوداً واضحة لم تقتصر فقط على تلك الدورات التدريبية بل امتدت تلك الجهود بأن تقدم بعض الجهات العالمية مثل اليونيسكو بعض الدورات التدريبية المتخصصة. وقد صدف ذلك السنوات الأولى لتأسيس المركز من حيث ساهم في وضع لبنته بتخصيص الموقع الحالي وتأثيثه وتوفير المعينات اللازمة للتدريب والتي تبلورت في تطويره ليصبح «مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم». لقد ساهم ذلك المركز كثيراً في دعم تأهيل منسوبي الجامعات السودانية الجديدة مما رقي من الأداء التدريسي والبحثي لمنسوبيها. وظل يقدم خدماته المستمرة لأعضاء هيئة التدريس والباحثين والأطر البشرية العاملة بالجامعات والكليات المتخصصة والمعاهد العليا والمراكز البحثية والوزارات والمؤسسات العامة والخاصة ولكافة شرائح المجتمع بما يتناسب مع احتياجاتهم بأحدث التقنيات والأساليب، وبما يمكنهم من التعامل مع معطيات العصر برصيد جيد من الخبرات والمهارات وفقاً لمعايير الجودة الشاملة (مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم، 2016).

بحكم أن الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر قد منح مرتبة الأستاذية في عام 1990م وبعد أن أكمل فترة العمدّة لم ينقطع دوره الريادي في مجالس كلية التربية ومجالس جامعة الخرطوم. تحتاج عضوية هذه المجالس لرأي ذوي الخبرة والدراية بالشأن الإداري والطلّابي في اقتراح الحلول للمشاكل المستجدة أو إبداء الرأي في البرامج الأكاديمية المقترحة من قبل الكليات أو القوانين واللوائح والنظم التي تقترحها الجامعة لتطوير الشأن الأكاديمي والإداري. وفي هذا الجو المشبع بروح المسؤولية والخبرة تبرز الآراء الحكيمة من هذه الفئة من الأساتذة والتي يكون محصولها تقدم الجامعة أو الكلية. وقد تأكد ذلك في الدور للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في

المساهمة في تطوير مشروع بحثي مع اثنين من العلماء بجامعة بايروت بألمانيا حول الهوية في السودان حيث تم من خلاله الحصول علي أربعة منح للتحضير لدرجة الدكتوراة بجامعة بايروت. كما عمل مطوراً ومنسقاً لاتفاقية التعاون والتبادل مع جامعة بادوفا بإيطاليا وتم من خلالها توفير ست منح للتحضير للدكتوراة لمحاضرين بجامعة الخرطوم. لقد كثر التعاون العالمي في البحث العلمي وتجلّى في البحث العلمي المشترك وفي زيادة التركيز على التسهيلات العالمية في العلوم الكبيرة وبروز البرامج التعاونية المشتركة. ولجميع هذه الجوانب فوائد مباشرة على البحث العلمي وفوائد استراتيجية واقتصادية وسياسية غير مباشرة للمجتمعات (Georghiou, 1998).

كان من السمات الواضحة للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بأكبر اهتمامه الكبير بالنشاط الرياضي. كان يشارك طلاب الكلية نشاطهم الرياضي في كرة السلة في دار رابطة طلاب كلية مما يسهم بالتأكيد في دعم الروح التنافسية بين الطلاب وفي شعورهم بمشاركة أساتذتهم لهم في هذا المضمار، بجانب التأكيد على أهمية النشاط غير الأكاديمي من قبل الكلية. وبحكم تلك العلاقة القديمة مع النشاط الرياضي وبروزه في الجامعة كلف بمهمة تمثيل جامعة الخرطوم في الاتحاد الرياضي للجامعات السودانية والتعليم العالي لفترة ستة أعوام متتالية في الفترة 1978-1983. كما تم اختياره نائبا لرئيس الاتحاد الرياضي للجامعات والمعاهد العليا في السودان ثم رئيسا لوفد السودان المشارك في دورة الاتحاد الرياضي العالمي للجامعات والمعاهد العليا بالمكسيك عام 1979 حيث شارك باللعب ضمن الفريق. لقد بدأ ذلك النشاط الرياضي محدودا خلال المرحلة الثانوية في مجال كرة السلة ثم توسع خلال عمله معلماً في المدرسة كنشاط تربوي مع التلاميذ واستمر طيلة فترة الدراسة بمعهد المعلمين العالي، وبالمشاركة في المنافسات على مستوى فرق الدرجة الثانية والأولي وفي فريق كرة السلة الأول لمعهد المعلمين العالي. واستمر ذلك النشاط بعد تعيينه مساعداً للتدريس ثم محاضراً. اشترك في تدريب الطلاب واشراف علي النشاط الرياضي بالكلية وشارك مشاركة فعلية باللعب مع الطلاب في منافسات كليات الجامعة. لقد عرف النشاط الرياضي بأن له قدرة على تخفيف حدة العديد من المشاكل الاجتماعية وعلى وجه العموم فهو «يحسن الأفراد والمجتمعات التي يوجد فيها»، ويقدم الدور الاجتماعي للرياضة المحتوى السياسي والتاريخي لهذا الاهتمام الحكومي المتزايد في المساهمة الفاعلة للرياضة في العديد من المشكلات الاجتماعية (Coalter, 2007).

لم يقتصر الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر على جامعة الخرطوم فقط بل امتد ليشمل جهات أخرى خارجها تولى مهامها الإدارية. لقد عمل رئيساً لمجلس كلية التربية عطبرة وهي كلية تم تأسيسها لتأهيل معلمي المرحلة الثانوية في البلاد بسبب النقص الكبير في التخصصات العلمية والرياضيات واللغة الإنجليزية. وتحتاج عملية التأسيس كالعادة لبذل الجهود وفق رؤى وأهداف محددة توضع النظم واللوائح عليها. ويعظم دور رئيس المجلس في تلك الأحوال خاصة وأنها كلية لا تتبع لأي جامعة بل تتبع مباشرة للمجلس القومي للتعليم العالي والبحث العلمي. وقد رفدت تلك الكلية بالكثير من معلمي المرحلة الثانوية ثم أصبحت نواة لجامعة وادي النيل هي وكلية الهندسة الميكانيكية عطبرة. بحكم الخبرة السابقة والمساهمات القيّمة للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر فقد أصبح مديراً لتلك الجامعة. لقد دعمت الخبرة السابقة التي اكتسبها في كلية التربية جامعة الخرطوم وإنابة نائب مدير الجامعة وكلية التربية عطبرة في بلورة أدواره الاجتماعية أكثر خاصة وأن منصب مدير الجامعة يعتبر منصباً سيادياً تخول له السلطات الاضطلاع بكثير من المهام الاجتماعية التي تشمل طلاب الجامعة ومنسوبيها من الأساتذة والعاملين، ثم تمتد لتشمل المجتمع المحلي. يتفق هذا مع أهداف إنشاء الجامعات الجديدة في عام 1994 وهو تنمية المجتمعات المحلية، ليس برفدها فقط بالخريجين بل بالقيام بالأدوار الاجتماعية والتنموية والتربوية الأخرى الواجب القيام بها والتي ينص عليها قوانين تلك الجامعات. تتوزع كليات جامعة وادي النيل على امتداد ولايتي نهر النيل والشمالية قبل قيام جامعة دنقلا، وهي مساحة جغرافية واسعة تحيط بها الصحراء من جميع النواحي ويتركز السكن والأنشطة الاقتصادية على ضفتي النهر. ورغم توفر مقومات التنمية إلا أن هذه المجتمعات تعودت على تقديم الدعم الأهلي خاصة وأنها قد اعتادت على هجرة أبناءها إلى الخارج منذ عقود طويلة، وفي تلك الأحوال يمكن لتلك الجامعة الاستفادة من تلك الإيجابيات لدعم الممكّنات في ما تقدمه من تنمية اجتماعية من خلال دورها الرئيس في خدمة المجتمع.

يمكن لنا القول بأن جميع هذه الجهود يمكن أن توضع في إطار الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ Professor الجامعي حيث يلاحظ هنا ومنذ أن منح الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مرتبة الأستاذية قد وضع دوره كثيراً. وهنا قد يتبادر سؤال فحواه ما «القيادة الذكية» وكيف يمكن فهم هذا المفهوم

بصورة جيدة في الجامعة الحديثة؟ (Macfarlane, 2013). يمكن القول بأن القيادة الذكية هي مقابل يوازن الثقافة الإدارية السائدة في التعليم العالي، كما يمكن فهمها كنشاط تحويلي. لقد وجد عند تحليل الدور الوظيفي حيث ينشأ في الغالب عدم اتفاق بين «المهنية أو المكونات الخارجية» و«الجامعة أو المكونات الداخلية». ومن وجهة النظر هذه، نجد أن من يحملون لقب «بروفيسور» في الجامعات القيادية في الغرب يقال أنهم يركزون على المكونات المهنية لأدوارهم. وعلى نقيض ذلك نجد في اليابان في الماضي أن من يحمل لقب «البروفيسور» يرمي لتأكيد المكونات المحلية المرتكزة على الجامعة university-centered. وفي السنوات الحديثة نقل الكثير ممن يحملون لقب «بروفيسور» طاقتهم بعيداً عن هذه المكونات التي تركز على الجامعة وأصبح بعضهم «مهنيين» بالمعني الغربي، ولكن هناك آخرين أصبحوا يهتمون بالمظهر، بينما ظل آخرون يعملون بالسياسة (Cummings et al. 2007).

اتسع الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر ليشمل أدواراً رئيسية في فترة توليه بعض المهام الإدارية بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي. تميزت سياسات التعليم العالي في السودان في أوائل التسعينات من القرن الماضي بالتوسع في التعليم العالي الأهلي والأجنبي. لم يعهد السودان ذلك النوع من التعليم في السابق إذ كان يوجد التعليم العالي المدعوم من الدولة والمتمثل في العدد القليل من الجامعات والمعاهد العليا الحكومية. ومع التوسع في التعليم العالي الحكومي اقتضت الضرورة إعطاء الفرصة للقطاع الخاص لدعم مسيرة التعليم العالي لإنشاء الكليات والجامعات الأهلية والخاصة، وبالمثل للجهات الخارجية بتأسيس الكليات والجامعات الأجنبية. ويعتبر التعليم العالي الخاص هو أكثر القطاعات دينامية وأسرعها نمواً عند بداية القرن الحادي والعشرون. لقد ارتبط الطلب المتزايد على التعليم العالي وعدم قدرة أو عدم رغبة الحكومات في توفير الدعم الضروري إلى أن يأتي التعليم العالي الخاص في المقدمة. وقد حدث توسع عالمي في هذا القطاع في معظم أرجاء العالم الذي يعتمد على القطاع العام. وارتبط بذلك ظاهرة «تخصيص المؤسسات العامة في بعض البلدان». ومع فرض الرسوم الدراسية والمصروفات الأخرى فقد أصبحت المؤسسات الخاصة والعامة تشبه بعضها البعض. وقد ساد نظام التعليم العالي الخاص في اليابان والبرازيل وبيرو والمكسيك ودول وسط أوروبا وغيرها (Altbach, 1999). وبصرف النظر عن أوجه القصور التي ارتبطت ببعض هذه المؤسسات إلا أنها موجودة في دول أخرى،

ومنها اهتمامهم بالعملية التدريسية أكثر من البحوث العلمية وأنها لم تطور إلا تنوعاً محدوداً وجزئياً وذات جودة منخفضة مقارنة بالمؤسسات العليا القديمة (Teixeira et al. 2001). وعلى وجه العموم يظهر التأثير الاقتصادي لمؤسسات التعليم العالي واضحاً حيث ترى المناهج التقليدية زيادة في الإنفاق بواسطة الجامعة كوسيلة لخلق وظائف جديدة داخل الدولة ولتوسيع القاعدة الاقتصادية للدولة، بينما أدخلت الدراسات الحديثة منهجية جديدة تضع الاعتبار أيضاً للزيادات في قاعدة المهارات في الدولة كجزء من الأثر الاقتصادي (Brown et al. 1997).

حددت سياسات التعليم في السودان أهداف تلك المؤسسات وبرامجها الأكاديمية وأدوارها الاجتماعية التي تحتاج لها ضروب التنمية في البلاد. تولى الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام مدير إدارة التعليم الأهلي والأجنبي كأول مدير لتلك الإدارة بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي حيث ساهم في وضع لبناتها الأولى ووضع اللوائح والقوانين المنظمة والمعرزة لجودة الأداء في المؤسساتوتتبع تنفيذ ما يليها من أدوار اجتماعية. ارتفعت أعداد تلك المؤسسات ارتفاعاً واضحاً وأضحت سمة بارزة من سمات التعليم العالي في البلاد. لقد وفرت تلك المؤسسات الفرص لأبناء السودانيين المقيمين في الخارج، والذين كانوا يرسلون أبنائهم لدول الجوار أو لبعض البلدان البعيدة وما يتبعه من تكاليف مالية ترهق كاهل تلك الأسر، أو ما يتعرض له أبنائهم من غزو فكري وثقافي. كما وفرت فرص لأبناء الأسر المستطية في الداخل وأيضاً لأبناء الأسر الفقيرة المتميزون من خلال المنح المجانية التي تقدمها تلك المؤسسات أو تخفيض الرسوم الدراسية أو تقديم المساعدات العينية. ومن هنا يتضح دورها الاجتماعي الذي كان يشرف عليه تلك الإدارة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. وفي منحى آخر بشأن التعليم العالي تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر بجانب إدارته للإدارة العامة للتعليم العالي والأجنبي مهام إدارة التقويم والاعتماد وهي إدارة مسؤولة عن تقويم الشهادات الجامعية الصادرة من خارج السودان ومضاهاتها بتلك المعتمدة من الوزارة عبر مؤسساتها الجامعية المختلفة.

من تلك المحطة أصبح الاستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر رئيساً للجنة الإقليمية لليونيسكو بالمنطقة العربية لتقويم ومعادلة واعتماد الدرجات والشهادات لبرامج التعليم العالي- الإقليم العربي، ثم رئيساً للجنة الإقليمية للشبكة العالمية للتحديث في الجامعات في المنطقة العربية التابعة لكرسي اليونيسكو للتعليم

العالى-الدول العربية-وعضو اللجنة التنفيذية لتلك المنظمة ومقرها مدينة برشلومة بإسبانيا. ومن هذه المناحي يمكن لطلاب التعليم العالى النظر لتعلمهم بمثابة استثمار يعطيهم فوائد مباشرة في سوق العمل وفي نفس الوقت فان العلاقة بين الاعتماد التربوي وعائدتهم من سوق العمل قد شهدت تغيرات في الأزمنة الحديثة. يحدث هذا في وقت يدرك فيه الطلاب في بريطانيا مثلاً حسب أحد الدراسات بأن مؤهلاتهم الأكاديمية لها دور متناقص في تشكيل مخرجات توظيفهم في ما تم إدركه بأن يكون سوق عمل للخريجين والذي يتسم بالمنافسة والازدحام. وبينما يرى الاعتماد الأكاديمي كبعد ضروري لإمكانية توظيفهم فان الطلاب يرون بصورة متزايدة ضرورة إضافة قيمة لهم لكي يكتسبوا مميزات سوق العمل (Tomlinson, 2008). ومن خلال ذلك يمكن وجود الكثير من الأدوار الاجتماعية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بأكبر خاصة وأن الدور الاجتماعي للتعليم يعرفه الجميع، وأقله تعليم الكتابة والقراءة ونشر الوعي بما يمكن الأفراد في المجتمع من التعامل بفهم مع مستجدات الحياة ومع أفراد مجتمعه. وتكامل ذلك الدور مع مهام إدارة الجودة التي تقلدها الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بأكبر. تختص تلك الإدارة بتطبيق معايير الجودة على مؤسسات التعليم العالى الحكومي والأهلي والأجنبي وفق معايير سودانية وعالمية. ويترتب على ذلك تطور البيئة الجامعية والأداء التدريسي والبحثي لأعضاء هيئة التدريس مما يمكن من إجراء عملية التصنيف والترتيب لتلك المؤسسات على المستويات الداخلية والإقليمية والعالمية. لقد صممت طرائق أذخال ضمان الجودة في التعليم العالى وكأنها عملية تقنية بينما قد يكون من المفيد النظر إليها كعملية سياسية. ولتأكيد ذلك نجد، مثلاً أن ضمان الجودة يتطلب إجراء خيارات بين أفكار متنافسة للجودة وعندها يتم إعطاء بعض المميزات فوق الأخرى. ولذلك من الواجب وضع الاعتبار بأن « ضمان الجودة هي مجال اجتماعي مشيد من محصلة للقوى » (Skoinik,2010). يخلق التصنيف الجامعي جو المنافسة واستدامة السعي للتفوق وتحقيق المراتب العليا حيث برز أسماء بعض تلك المؤسسات مثل جامعة الخرطوم وجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا في ترتيب الجامعات وفق مقياس وينيماكس. ويعتبر نشر ثقافة الجودة عبر إدارتها ذو مردود اجتماعي من خلال توفير البيئة الاجتماعية للطلاب وهي أحد معايير الاعتماد لتلك المؤسسات. وبالطبع تساهم تلك البيئة المتكاملة في رفع الأداء الأكاديمي للطلاب وتسهل عملية التدريس عند توفر المعينات التدريسية المطلوبة والمتطورة المواكبة لمستجدات الحداثة في هذا المجال.

لقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر في إعداد وتطوير وتنفيذ برامج التدريب على أساسيات الجودة والتقييم والاعتماد بمؤسسات التعليم العالي في السودان. فقد أنشأ الهيئة العليا للتقويم والاعتماد كإدارة تابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالسودان في 2003م. وقد كان قائداً لإعداد وتطوير كل المعايير والمؤشرات والأدلة لضمان جودة مؤسسات التعليم العالي في السودان. وقد اقتضى ذلك أن تكون هناك دورات تدريبية وورش عمل لتدريب أعضاء هيئات التدريس بمؤسسات العالي على تلك المفاهيم. وقد كان طيلة رئاسته للهيئة العليا للتقويم والاعتماد، القائد للجان التي قامت بتصميم وتنفيذ تلك الدورات التدريبية والتي غطت في فترة وجيزة معظم مؤسسات التعليم العالي في السودان. وقد كان لذلك التدريب أثر واضح في نشر وتعزيز ثقافة الجودة والتقويم بمؤسسات التعليم العالي في السودان (مذكرة حمود، 2021). ومن فوائد تطبيق التقويم والاعتماد في مؤسسات التعليم العالي (سالم و محجوب ، 2016) وضع معايير أداء لنوعية التعليم المختلفة، وضمان درجة معقولة من الجودة في أداء مؤسسات التعليم العالي، وتقديم الأساس الذي تبنى عليه عمليات التطوير والتحديث المستمرة، والمساعدة على تطوير وتقديم المهنة التي تخدمها برامج المؤسسة الذي يتم تقويمها أو اعتمادها، والتأكيد على أن المؤسسة ذات أهداف واضحة ومناسبة وأن تقدم الطرق والوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف، وضمان خصوصية المؤسسة وتفردتها ، ذلك لأن نظم التقويم والاعتماد تضع في حساباتها أهداف البرامج أو المؤسسة الأم ، وتتأكد من أن المؤسسة تعمل على تحقيق هذه الأهداف ما دامت نابعة من المجتمع وملائمة لحاجاته، والتقريب بين البرامج الجامعية في شتى مؤسسات التعليم العالي للوصول إلى المستوى المعياري المتعارف عليه في العالم المتقدم، وتعزيز سمعة البرامج لدى المجتمع الذي يثق بعمليتي التقويم الداخلي والخارجي، وتوفير آلية لمساءلة جميع المعنيين بالإعداد والتنفيذ والإشراف على البرامج الأكاديمية. عمل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر رئيساً للجنة الفنية التي أنجزت الدراسة للحصول على الدعم المالي لتطوير التعليم العالي والعام من البنك الأفريقي - ومن ثم متابعة التنفيذ وكان من النتائج الحصول على 10 منح للدكتوراة و 21 منحة للماجستير بجامعة بحر دار بأثيوبيا «تعليم نظامي»، وكذلك 90 منحة لدراسة الماجستير عن طريق التعليم عن بعد بنفس الجامعة إضافة إلى أجهزة معمل حاسوب متكامل لكلية التربية- جامعة الخرطوم. ويسهم هذا في توفير أطر بشرية لتطوير

الإدارة والتخطيط للتعليم في السودان إذ أن درجة الماجستير التي تمنحها جامعة بحر دار تسمى ماجستير الآداب في الإدارة والتخطيط التربوي. ويظهر هنا الدور الاجتماعي واضحاً في احداثه نقلة نوعية لعدد من المعلمين في التعليم العام ليصبحوا مدراء ومخططين يعينون الوزارة الاتحادية في أعمالها التطويرية بحكم أنهم يعملون عند القواعد الإدارية التابعة لتلك الوزارة ويحيطون علماً بواقع الحال، أي أن التخطيط سيكون من الأسفل-الأعلى bottom-top ويعتبر الأنجح لأنه يأتي من المصادر المباشرة الواقعية وليس من الأطر النظرية لمنظري التخطيط.

عمل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر على دعم التعليم العالي داخل السودان وخارجه من خلال تدريسه لعدد من المقررات الجغرافية في جامعات وطنية وإقليمية في الأردن والكويت، وتأليف عدد من الكتب المنهجية و/أو المرجعية للتعليم العام والعالي في مجالات الجغرافيا وضمان الجودة والتعليم عن بعد، وهي تطورات أملت المقتضيات العالمية للتطور في التعليم العالي. وتسهم هذه التحولات في رفد سوق العمل بخريجين ذوي مهارات عالية بجانب قدرتهم على خلق فرص العمل الشخصية أو ما يعرف بريادة الأعمال حيث ثبت أن الطلاب المتخرجين من مؤسسات التعليم العالي يمتلكون رغبة أعلى ليصبحوا رجال أعمال مما يسهم في صياغة السياسات التعليمية ولصناع القرار لمراجعة نظام التعليم العالي الجاري لعمل التغييرات لحث الطلاب لولوج عالم ريادة الأعمال (Ertuna, et al.2011) وخاصة ممن يتلقون التعليم عن بعد وهو في الأساس تعلم ذاتي في الغالب.

أصبح الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر عضواً في المجلس القومي للتعليم العالي من خلال رئاسته لهيئة التقويم والاعتماد وكذلك للجنة الدراسات التربوية التابعة لذلك المجلس وبذلك الذي أصبح مشاركاً في وضع السياسات التعليمية للبلاد وجميعها يعمل على التطور العلمي ومحصلة تحقيق التنمية والأمن الاجتماعي. وقد انجزت تلك اللجنة الكثير من المهام منها قيام كليات التربية بشقيها الثانوي والأساس في معظم الجامعات السودانية والتأكد من قيامها وفق معايير التعليم العالي السوداني من حيث البنية التحتية والمناهج وأعضاء هيئة التدريس وغيره. لقد جذب موضوع جودة الخدمات التعليمية المرتبط بوجود المؤسسة التعليمية اهتماماً مقدراً في قطاع التعليم العالي وهو موضوع تحتاج لادخال كافة الشركاء من طلاب وأساتذة وعاملين لإنجازه (Abdullah,2006). ففي إطار اختلاف الطلاب تعتبر منهجيات

التدريس والتعليم هي التي تشجع وتدعم الطلاب للارتباط بمؤسساتهم ودراساتهم ولذلك تزيد ارجحية نجاحهم الأكاديمي واستمراريتهم (Crosling et al., 2009). وقد وضعت تلك اللجنة ما يعرف بكلية التربية «الأمودج» وسعت لتطبيقها في مختلف الجامعات السودانية الحكومية. وبحكم رئاسته لتلك اللجنة فقد بذل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر دوراً كبيراً في نشرها حيث اتضح لاحقاً دور تلك الكليات في تنمية وتطوير المجتمعات المحلية التي أنشأت فيها. كما عملت على استمرار الطلاب وبقاءهم في تلك المؤسسات خاصة وأن هناك من المواضيع المعاصرة في التعليم العالي هو موضوع بقاء الطلاب ومواصلتهم للدراسة (Crosling et al., 2009).

لقد كان للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر أدوار تربوية في مجال تصميم وإعداد البرامج الدراسية لمؤسسات التعليم العالي في السودان وفي المشاركة الفاعلة في إعداد وتصميم وتنفيذ البرامج التدريبية للأستاذ الجامعي. فقد شارك في إعداد وتطوير البرامج والمقررات الدراسية بكليات التربية في معظم الجامعات السودانية التي تم إنشاؤها في فترة التسعينات من القرن الماضي، وقد كانت إدارات تلك الجامعات تكلفه رئيساً لتلك اللجان التي يتم تشكيلها لذلك الغرض، وفي كثير من الأحيان كان يتم تكليفه برئاسة تلك اللجان ويترك له أن يختار من يشاركه في عضوية تلك اللجان، وذلك ثقة من تلك الإدارات الجامعية بتجاربه الثرة في تلك المجالات (مذكرة حمود، 2021). ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة النيل الأزرق (الدمازين).
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة القضارف (القضارف)
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة البحر الأحمر (بورتسودان).
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة بخت الرضا لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة كسلا لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة الدنج لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة كردفان (ولاية شمال كردفان) لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.

- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة غرب كردفان بمدينة النهود لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة الإمام المهدي بولاية النيل الأبيض لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.

تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام تأسيس ورئاسة الاتحاد المهني لأساتذة الجامعات والمعاهد العليا السودانية والذي وضع دور الاجتماعي والتربوي الكبير في دعم الأساتذة في توفير قطع سكنية في المخططات التي تطرحها الشركات العقارية بنظام التقسيط والمساهمة في العلاج داخل وخارج السودان، وفوق ذلك دعم مطالبهم في موضوع الهيكل الراتبى والمحافظة على حقوقهم المشروعة في الترقى وغيره. بجانب ذلك كان له دور كبير في إنشاء وحدات التقويم بالجامعات الحكومية والأهلية والتي تسعى لتطوير وترقية تلك المؤسسات. تمشياً مع التحولات العالمية التي حدثت في التعليم العالي في العالم منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي. لقد إتخذ التعليم العالي ثلاثة مراحل من النمو والتطور: (1) التركيز على الصفوة ذات السمات العقلية والشخصية الواضحة والتي ستكون طبقة الحكام، أي التجهيز لأدوار الصفوة، (2) التحول الجماهيري للقدرات والتجهيز لمدى أوسع من الأدوار الاقتصادية للصفوة، (3) التأقلم العالمي «لכל السكان» للتغير الاجتماعي والتقني السريع (Trow, 2007).

ومن خلال توليه مهام ذلك الاتحاد فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في إعداد وتطوير وتنفيذ برامج تدريب وتطوير وترقية الأداء المهني للأستاذ الجامعي في السودان كان للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر أدوار واضحة وأصيلة في تأكيد ضرورة التطوير المهني للأستاذ الجامعي في مؤسسات التعليم العالي في السودان (مذكرة حمود، 2021)، وعلى سبيل الأمثلة لا الحصر:

المشاركة الفاعلة في إعداد وتنفيذ برامج التطوير المهني للأستاذ الجامعي الذي كان يقدمه الاتحاد المهني لأساتذة الجامعات والمعاهد السودانية، وهي دورات تدريبية شملت الغالبية العظمى من مؤسسات التعليم العالي في السودان سواء كانت مؤسسات حكومية أو أهلية أو خاصة، كما كان عضواً في اللجنة العلمية لبرنامج التطوير المهني للأستاذ الجامعي الذي كان يقدمه الاتحاد المهني لأساتذة الجامعات والمعاهد السودانية.

المشاركة في إعداد وتطوير وتنفيذ معظم برامج التدريب المهني للأستاذ الجامعي الذي ظل يقدمه مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم، وهو المركز الأول لتطوير وترقية الأداء المهني للأستاذ الجامعي في السودان. ومن تلك البرامج التدريبية على سبيل المثال لا الحصر: برنامج التدريب على النظم وأساليب التدريس الجامعي، وبرنامج أخلاقيات مهنة التعليم الجامعي، وبرنامج القياس والتقويم للطلاب الجامعي. وقد وجدت برامج هذا المركز إقبالاً واسعاً من أساتذة مؤسسات التعليم العالي في السودان وفي العديد من الدول العربية. وما يزال هذا المركز يقدم برامج متقدمة في مجالات ترقية الأداء المهني للأستاذ الجامعي. ولا بد من الإشارة هنا أن بروف عبد الباقي كان مديراً لذلك المركز في إحدى دوراته الإدارية.

المشاركة في تنفيذ عدد من البرامج التدريبية في إطار التطوير المهني للأستاذ في عدد من مؤسسات التعليم العالي في السودان، وهي دورات تنظمها تلك المؤسسات خارج إطار برامج مركز التدريب المتقدم بجامعة الخرطوم.

لم يقتصر الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر على مؤسسات التعليم العالي السودانية من خلال توليه تلك المناصب والمهام بل شمل أيضاً التعليم العالي في العالم العربي حيث عمل عميداً لكلية التربية بالجامعة العربية المفتوحة، ومناوباً لنائب مدير الجامعة العربية المفتوحة للشؤون الأكاديمية ثم رئيساً لمجلس الجامعة العربية المفتوحة. وقد تم افتتاح فرع لتلك الجامعة في السودان وأسهمت مثل مؤسسات التعليم الأهلي والأجنبي السودانية في تقديم أدوار اجتماعية واضحة في دعم الطلاب الفقراء، إذ تقوم في الأساس لتحقيق هذا الهدف، إذ لا يفرض فيها رسوم دراسية على الطلاب بل تعتمد على جلب الدعم من الأغنياء وميسوري الحال داخل وخارج السودان.

تكاملت تلك الأدوار الاجتماعية والتربوية مع أدوار أخرى في قطاع التعليم العام. فعندما فكرت الدولة في تطوير تدريب معلمي التعليم الأساسي في أوائل التسعينات توجهت الأنظار نحو معاهد تدريب المعلمين وكيفية تطويرها. تمخضت تلك الجهود عن قرارات بتحويل تلك المعاهد للجامعات على أن تصبح برامج أو كليات تحت مسمى بكالوريوس التعليم الأساسي. وقد كلف الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر برئاسة لجنة الاشراف على القيام بتلك المهمة. ويظهر الدور الاجتماعي والتربوي هنا في ما تحقق لأولئك المعلمين من الحصول على أوضاع أفضل تمثلت في رفع المستوى

التدريبي والوظيفي لهم وأصبحوا أسوة بخريجي الجامعات، رغمًا عن بعض المسالب التي ارتبطت بتلك التجربة التي لا تزال مطبقة في الجامعات السودانية. بجانب ذلك عمل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر رئيساً للجنة تطوير مناهج التعليم العام 1991 - 1995، وفي عضوية عدة لجان تطوير التعليم بوزارة التربية والتعليم . ويعتبر السعي لتطوير هذا القطاع عملاً استراتيجياً تقوم به الدول لتقويته لمواكبة المستجدات المحلية والعالمية. ولا تقتصر تلك السياسة على تطوير المناهج المدرسية فقط بل تشمل البيئة المدرسية الداخلية والخارجية، واستقطاب الدعم من الجهات ذات الصلة، وتطوير تدريب المعلمين والذي أنشئ له مركزاً متخصصاً يتلقى فيه المعلم تدريباً كل خمسة أعوام بعد تعيينه في وظيفة «معلم» يجدد له بعدها رخصة مزاولة مهنة التعليم. ولأول مرة في تاريخ التعليم في السودان ينشئ مركزاً متخصصاً لتمهين التعليم والذي عرف باسم مجلس المهن التربوية السودانية وهي جسم مهني مستقل تحت سلطة مجلس الوزراء حيث شغل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام أول رئيس له ومؤسس له. من المؤكد أن لذلك المجلس أدوار تربوية اجتماعية استطاع رئيسه من خلال الاضطلاع بالقيام بها، ويمكن تلمس تلك الأدوار من دراسة دواعي ومبررات تمهين التعليم في السودان (عبد الوهاب والبشير، 2016) يوفر قاعدة معرفية حديثة للمعلمين ومهارات متنوعة لممارسة المهنة. وتجعل المعلم يلتزم بالسلوك المهني والالتزام بالميثاق الأخلاقي للمهنة، وبحكم أن مهنة التعليم من أهم المهن وأطهرها وأشرفها وبالتالي هي الأجدر والأولى أن يسن تراخيص لممارستها لضمان حق الأفراد في توفير معلمين أكفاء لأبنائهم، ويساعد في استكمال جوانب عملية إعداد المعلم، كما يساهم بفاعلية في تحديث معلومات المعلم، فالتربية بصفة عامة والتدريس على وجه الخصوص يشهد في السنوات الأخيرة ظهور نظريات جديدة في المنهج ونماذج التدريس بشكل مستمر، ويمثل المعلم المصدر الرئيسي في نقل المعرفة والقيم والمهارات لطلابه. والمعلم لن يتمكن من أداء هذا الدور الحيوي، إلا إذا كان معداً إعداداً جيداً لمهنة التدريس، وقادراً على التعلم والتدريب الذاتي والمستمر، وباحثاً عن المعرفة ومستقصياً عن كل ما هو جديد في مجال، كما تساهم برامج التنمية المهنية للمعلم في تعديل الخبرات السابقة للمعلم وإعادة توجيه الخبرات السابقة في ضوء المتطلبات اللازمة لإعداد منتج تعليمي جيد، كما يساهم في تجويد تفاعل المعلم مع عناصر المنظومة التعليمية، ويكون أداء المعلم وتفكيره وأساليب تنفيذه للمنهج

وطرائق تدريسه محصلة لتفاعل بين مهاراته وجوانب شخصيته والبيئة التعليمية التي يوجد فيها وبين ما يشارك فيه من برامج تنمية مهنية بصورة دائمة، كما يحث المعلم على المشاركة في صنع واتخاذ القرار التعليمي والتربوي وعلى وجه الخصوص في اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسات التعليمية وبالمناهج وطرائق تدريسها والبيئة المدرسية والقيادة المدرسية، كما أن تمهين التعليم يضمن للمعلم المهني مرتباً مجزياً وترقية إلى وظيفة أعلى وذلك طبقاً لنتائج الاختبارات الدورية التي يمكن تطبيقها على المعلم بشأن هذا الغرض .

المهام غير الإدارية وأدواره الاجتماعية والتربوية:

يمكن لنا تمييز عدّة أدوار اجتماعية وتربوية ارتبطت بعدد من الأنشطة المختلفة ذات الصلة بالمؤسسات التعليمية بشقيها العام والعالي وبتخصصه الرئيس. كان الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مشاركاً في عضوية المجلس الاستشاري لأساتذة جامعة الخرطوم التي تضم في عضويتها بعض كبار الأساتذة في مرتبة الأستاذية وتعمل على تقديم المشورة لمجلس الأساتذة في ما يلي أعماله الأكاديمية والقانونية المرتبطة بالنظم واللوائح. وبالطبع تسهم تلك المشورة في تطوير الجامعة مما ينعكس على مستوى أداؤها العلمي أو الاستثماري أو الاجتماعي. ويعتبر الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر أحد مؤسسي الجمعية الجغرافية الوطنية السودانية ثم رئيساً لها، وفي نفس الوقت كان عضواً في الجمعية الجغرافية السودانية التي تأسست عام 1964 في قسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة الخرطوم. وبحكم أن لهذه الجمعيات أدوار اجتماعية واضحة أهمها نشر الوعي البيئي ومناقشة قضايا التنمية وبالتالي يلعب أعضاؤها ورئيسها دوراً مقدراً لتنفيذه. وطوال فترة توليه لتلك المهمة أقيمت عدة ندوات وتم تبادل الزيارات مع الجمعية الجغرافية السعودية التي قامت بزيارة للسودان تم فيها زيارة مناطق شندي وكنانة وغيرها، كما وأجريت اتصالات مع الجمعية الجغرافية المصرية. وامتد الدور الاجتماعي والتربوي ذي الصلة بالجمعيات الجغرافية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر للعمل عضواً في المجموعة العاملة في إدارة الموارد في الأراضي القاحلة التابعة للجمعية الجغرافية العالمية. ويأتي الدور الفعال هنا في إجراء البحوث العلمية المطلوبة وتقديم المساعدة في تنفيذه حيث تتطلب في أحوال كثيرة ضرورة الاتصال بالمجمعات المحلية أو الجهات الرسمية ومن هنا يبرز هذا الدور واضحاً.

لقد كان للدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر تأثيره الواضح والقوي في مجال التعليم العام. فبحكم عمله رئيساً للندوة التربوية في السودان وهي هيئة طوعية تضم خبراء وقياديين تربويين من كليات التربية والتعليم العالي تعمل على ترقية العمل التربوي في السودان فقد تطلب ذلك ضرورة البحث عن القضايا والمشكلات التربوية ومن بينها مثلاً تلك المتعلقة بكليات التربية وكيفية المساهمة في تطويرها وحل مشاكلها وكذلك مشكلات إعداد المعلم وتدريبه... الخ. يستدعي هذا وضع الرؤي والبحث عن الدعم الممكن وتنفيذ ما يتم طرحه من مقترحات وحلول. ويتكامل هذا الدور مع دوره عندما عمل رئيساً للجنة عمداء كليات التربية السودانية وتأسيسه للندوة التربوية في السودان في الفترة 1991-2011، وهو دور يستدعي التواصل مع المنظمات الدولية ذات الصلة بالتعليم مثل اليونسكو والاتحادات العالمية المختلفة وإمكانية ما يمكن أن تقدمه من دعم لقطاع التعليم. وقد تمخض عن تلك الجهود الدعم الذي قدمه الاتحاد الأوروبي لتطوير التعليم الأساسي في السودان بالتركيز على بعض الولايات التي عانت من ويلات النزاع القبلي والحروب. ونفذ ذلك المشروع عدداً من المدارس الجديدة وتأهيل الكثير منها بجانب تدريب المعلمين ثم امتد ليشمل معالجة بعض مشاكل كليات التربية السودانية وخاصة في مجال تدريب أعضاء هيئة التدريس واكسابهم بعض المهارات بغرض نقلها لطلابهم في تلك الكليات.

يضطلع المركز القومي للمناهج والبحث التربوي بمهام محددة وفق قانونه الأساسي. ولتنفيذ ذلك يستعين هذا المركز بالخبراء وأهل الرأي لتنفيذ مهامه، وله مجلس يضم في عضويته تلك المجموعة من الخبراء والتي كان من بينهم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر. وقد نجح ذلك المركز في تحديث المناهج في السودان وتطبيق المنهج المحوري ثم العودة مرة أخرى لمنهج المواد المدرسية المنفصلة في مرحلة التعليم الأساسي وفق ما اقتضته ضروريات المرحلة في السودان. ويرتبط بهذا الدور ما قام به الأستاذ الدكتور عبد الغني عمله رئيساً للجنة مراجعة وإعادة تصميم منهج المرحلة الثانوية في السودان وظهر دوره كثيراً في نشر الوعي البيئي من خلال منهج مادة الجغرافيا وهو ضرورة لاستدامة الموارد الطبيعية، بجانب المشاركة في وضع ومراجعة وتقويم مادة الجغرافيا في الشهادة الثانوية لمدة أربعة وعشرون عاماً. وبالتأكيد لهذا العمل أدواره الاجتماعية التي تتجلى في تطوير هذه المادة المدرسية

تستوعب حركة المجتمع وأنشطته الاقتصادية المختلفة وتأثيرها على البيئة وما يتبعه من مشاكل تتطلب نقلها وشرحها للطلاب للوعي بها عندما يذهبون للجامعة وينخرطون في التخصصات العلمية المختلفة.

المهام الاستشارية وأدوارها الاجتماعية والتربوية:

إضافة لما ذهبنا إليه من ذكر للأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني التي تجلّت من خلال توليه للمناصب الإدارية أو غير الإدارية يوجد ما يعرف بالأدوار الاستشارية والتي لا تخرج محصلتها النهائية عن وجود أدوار اجتماعية لها. من أمثلة ذلك موضوعات تقييم معاهد تدريب المعلمين- وزارة التربية والتعليم، وتقييم الجامعة الجديدة في السودان- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وتقييم آليات ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الدول العربية- اليونسكو المكتب الإقليمي للدول العربية، التعليم العالي للحدود ومردودات الجودة- اليونسكو مكتب الدوحة، قيام نموذج استدامي لإدارة التعليم - برامج بناء القدرات لكليات التربية الأساسية- وزارة التعليم العالي بالتعاون مع بنك التنمية الأفريقي، ضمان الجودة في السودان المفاهيم والتطوير والعمليات والتحديات- اليونسكو المكتب الإقليمي للدول العربية، مراجعة اللقاء العربي الإقليمي حول دراسات تقويم ومعادلة الشهادات الدرجات العلمية في التعليم العالي في الدول العربية. ويمكن التطرق لبعض الأدوار الاجتماعية لهذه الموضوعات كأمثلة يمكن من خلالها معرفة بعض الأدوار الاجتماعية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بأكبر:-

تطوير تدريب المعلمين في السودان:

- توضيح أوجه القوة والضعف والفرص والتحديات في مؤسسات التعليم العالي الجديدة التي تمكن من صياغة السياسات المطلوبة.
- تطبيق معايير ضمان الجودة والاعتماد لمؤسسات التعليم العالي السودانية يكفل لها مواكبة المعايير الوطنية والعالمية لتوفير البيئة التعليمية المطلوبة مما ينعكس على الإداء التحصيلي للطلاب.
- يوفر التعليم العالي العابر للحدود فرصاً لشرائح من المجتمع قد تكون محرومة منه لأسباب اقتصادية أو اجتماعية وبذلك يساعد في تحقيق العدالة الاجتماعية.

- بناء قدرات أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السودانية يطور العمل التدريسية والبحثية ويرفع من درجات التصنيف لهذه المؤسسات.
- دعم الدرجات دون البكالوريوس يتيح الفرص للكثير من الناجحين في امتحان الشهادة الثانوية السودانية والذين كان من الممكن أن يعتبروا فاقداً تربوياً خاصة وأن معظم الدبلومات المطروحة في الجامعات السودانية هي دبلومات تقنية ترفد حاملها للعمل الحر الذي أصبح مطلوباً لحل مشكلات العطالة وانتظار الوظيفة الحكومية التي قد تأتي متأخرة وفي الغالب ذات مداخيل مالية ضعيفة. ويزيد الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر عن ما تطرقنا له أعلاه في الجانب الاستشاري إذ يتواصل ليشمل عقد الدورات التدريبية (سأهم في عقد 18 دورة تدريبية) لرؤساء وحدات التقويم بالجامعات الحكومية والأهلية وبعض أعضاء هيئة التدريس. كما عمل رئيساً وعضواً لهيئات استشارية ومقوّم لعدد مقدّر من الدورات العلمية المحلية والإقليمية ومقوّم لعدد مقدّر للأبحاث بغرض النشر، ورئيس لعدد مقدّر من اللجان لتصميم أو تقويم وتطوير مناهج كليات التربية في السودان بمرحلة البكالوريوس والدراسات العليا. ومقوّم لعدد من أبحاث المتقدمين للترقيات بعدد من الجامعات الوطنية والإقليمية، وعضو لجنة الترقيات بعدد من الجامعات الوطنية والإقليمية مثل جامعات القضارف، وبحري ووادي النيل، وجامعة الإمام محمد بن سعود، والجامعة العربية المفتوحة والمركز القومي للمناهج والبحث التربوي، وغيرها.

الصّلات بالمجتمع المحلي وأدوارها الاجتماعية والتربوية:

ترأس الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر رئاسة اتحاد طلاب معهد المعلمين العالي دورة 1964- 1965 عندما كان طالباً بالمعهد. وفي العادة يقوم رؤساء اتحادات الطلاب بالكثير من الأدوار الاجتماعية منها إدارة الأنشطة الطلابية المختلفة واستقطاب الدعم من الجهات الرسمية والأهلية والتصدي لمعالجة مشاكل الطلاب المختلفة. وتكسب تلك الأدوار من يقوم بها الكثير من الخبرات في العمل العام بل والسياسي. كما اهتم الاستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآبكر بالنشاط الكشفي والذي يعرف له الكثير من الأدوار التربوية منها الاستكشاف والاعتماد على النفس وحل المشكلات وغيرها،

حيث التحاق بقرقة الكشف منذ السنة الثانية بالمدرسة الثانوية واستمر الشاط بعدها بعد التعيين كمعلم بالمرحلة المتوسطة وأصبحت معلم فرقة بمدرسة الخرطوم الوسطى والعمل خارجها في كشافة منطقة الخرطوم. بجانب ذلك ساهم في توسيع النشاط الكشفى وتدريب التلاميذ والشباب على تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس من خلال الرحلات والمعسكرات والعمل الميداني والمساهمة في الإصحاح البيئي والعمل الوطني الطوعي العام مثل سد النقص في المستشفيات والعمل كممرضين أثناء فترات إضراب الممرضين والعاملين، وغيرها. بجانب ذلك فقد اهتم بالنشاط المسرحي الذي بدأ مع العمل كمعلم بالمرحلة الوسطى كنشاط تربوي تم استمر خلال فترة معهد المعلمين العالي ضمن جمعية المسرح بإشراف الأستاذ الفكي عبدالرحمن (عليه رحمة الله)، وتوسع لتقديم بعض الأعمال من خلال الاذاعة والتلفزيون بمرافقة ومشاركة الممثل والمخرج المعروف مكي سنادة والذي زامله في معهد المعلمين العالي. وللمسرح أدوار في نشر الوعي الاجتماعي تجاه الكثير من قضايا المجتمع بجانب أدواره في بسط الترفيه وخلق أجواء اللقاء الاجتماعي بين أفراد المجتمع وتخفيف حدة واقع الحياة المعاش.

إضافة لجميع تلك الأنشطة فقد تولى رئاسة لجنة مسجد السجانة العتيق 2001-2017 حيث تم توسيعه وصيانته بجانب والإشراف العام عليه. وبحكم إنتماء الأسرة لطائفة الختمية فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآكر في أنشطة الطائفة الختمية مع أشقائه في منطقة السجانة. ولطائفة الختمية وغيرها من الطوائف الدينية الأخرى أدوار اجتماعية وتربوية ملموسة في المجتمع السوداني، سواء في الريف أو الحضر. بجانب هذا الدور هناك دور اجتماعي يعرفه الكثيرون من منسوبي كلية التربية.

ملخص الخصائص العامة للأدوار الاجتماعية والتربوية:

- من استطلاع وتحليل موضوعات الأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بآكر يمكن أن تتضح مجالاتها ولامحها في الآتي:
- تنوع مجالات الأدوار الاجتماعية والتربوية حيث شملت مجالات العمل الرئيسي المرتبط بالتعليم العالي والعام وغير الرئيسي المجتمعي.
 - تنوع الأدوار الاجتماعية والتربوية داخل مؤسسات التعليم العالي والعام حيث ركزت على تقديم أدوار تلك المؤسسات المنوط بها أدائها.
 - تنوع الأدوار الاجتماعية والتربوية التي اهتمت بمجتمع الطلاب والمجتمع المحلي.

- تؤكد هذه الأدوار الدور الريادي للأستاذ الجامعي على وجه العموم، ومن هم في مرتبة الأستاذية على وجه الخصوص كما تؤكد الشواهد والدلائل العالمية.
- من المؤكد أن هذه الأدوار الاجتماعية والتربوية لها مردودات عامة يمكن أن نشير لبعضها، وليس لجميعها:-
- توفير قاعد بيانات لأمط الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الجامعي.
- توضيح الكثير من القضايا المجتمعية التي تحتاج للعب أدوار اجتماعية وتربوية في السودان مما يساعد في استكشافها ووضع البرامج والخطط لحلها أو تخفيف وطأتها من قبل الجهات الرسمية وغير الرسمية.
- المساهمة في ترقية دور المؤسسات التعليمية من خلال تقوية أدوارها المجتمعية والتربوية.
- تساعد في إعادة تطوير سياسات التعليم العالي تجاه المجتمع وتركيزها على معالجة هذه القضايا مما ينعكس إيجاباً على التماسك المجتمعي.

الخاتمة:

باعتبار الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر أحد رواد وأعلام جامعة الخرطوم وكلية التربية وأحد أعلام الجغرافيين السودانيين فقد ساهمت جهوده المجتمعية والتربوية حين توليه المناصب الإدارية المختلفة، أو من خلال جهوده على المستوى المجتمعي الدقيق في دعم بعض فئات المجتمع السوداني من خلال ما قدمه من أدوار تمس بالتأكيد الكثير من مشاكلها والتي قد تكون ذات ارتباط بقضايا السودان عموماً. عليه، يمكن مواصلة البحث في توضيح الأدوار الاجتماعية والتربوية لكثير من الأعلام السودانيين مما يمكن من توثيقها ضمن برنامج متكامل تتبناه الجهات الرسمية في الدولة حيث يوفر ما ورد هنا من توثيق للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر حجر أساس يبنى عليه.

الهوامش :

- (1) سالم، محمد سعد محمد، و محجوب، زين العابدين حسن. 2016 «معايير ضمان الجودة والاعتماد لبرامج إعداد المعلم بكليات التربية السودانية» في رؤى وتجارب في إعداد وتأهيل المعلمين، تحرير الرديسي، سمير محمد على حسن. دار جامعة الخرطوم للنشر، ص.ص. 93-108.
- (2) السيرة الذاتية للاستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر
- (3) عبد الحي، رمزي. 1998. التعليم العالي والتنمية، ط 1، دار الوفاء لنديا الطباعة، الاسكندرية.
- (4) عبد الوهاب، الطيب، و البشير، محمد مزمل. 2016 « تمهين التعليم الدواعي والمبررات» في: رؤى وتجارب في إعداد وتأهيل المعلمين، تحرير الرديسي، سمير محمد على حسن. دار جامعة الخرطوم للنشر، ص.ص. 73-92.
- (5) مذكرة حمود، على حمود. 2021. مشاركات بروفييسور عبد الباقي عبد الغني بابكر مجال تصميم وإعداد البرامج الدراسية لمؤسسات التعليم العالي في السودان وفي المشاركة الفاعلة في إعداد وتصميم وتنفيذ البرامج التدريبية للأستاذ الجامعي.
- (6) مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم. 2-16. معاً لخلق بيئة تدريبية متطورة. Information technology and network administration – U of K.
- (7) المقابلة الشخصية مع الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر – كلية التربية بتاريخ 2021/12/29.
- (8) Abdullah, F.2006. The development of HEdPERF: a new measuring instrument of service quality for higher education sector. International journal of consumer studies 30 (6): 569581-.
- (9) Altbach, P.G. 1999. Private higher education: themes and variations in comparative perspective. Prospects 29 (3): 310323-.
- (10) Boatright, J.R.1988. Ethics and the role of the manager. Journal of business ethics 7 (4), 30331-.
- (11) Brown, K.H., Heaney, M.T. 1997. A note on measuring the economic impact of institutions of higher education. Research in higher education 38 (2): 229240-.
- (12) Coalter, f. 2007. A wider social role for sport: who's keeping the score,

Routledge, Taylor and Francis Group. London.

- (13) Crosling, G., Heagney, M., Thomas, L. 2009. Improving student retention in higher education. *Australian universities review* 51 (2): 918-.
- (14) Cummings, W.K., Amano, I. 1977. The changing role of the Japanese professor. *Higher education* 6 (2): 209234-.
- (15) Ertuna, Z.I., Gurel, E. 2011. The moderating role of higher education on entrepreneurship. *Education+ training* 53 (5): 387402-.
- (16) Georghitou, L. 1998. Global cooperation in research. *Research policy* 7 (6): 611626-.
- (17) Macfarlane, B. 2013. *Intellectual leadership in higher education: renewing the role of a university professor*. Routledge, Taylor and Francis Group. London.
- (18) McMahon, C. 2015. Managerial ethics and the ethical role of the manager. *Wiley Encyclopedia of Management*, 14-.
- (19) Skoinik, M. 2010. Quality assurance in higher education as a political process. *Higher education management and policy* 22 (1): 120-.
- (20) Teixeira, P., Amaral, A. 2001. Private higher education and diversity: an exploratory survey. *Higher education quarterly* 55 (4): 359395-.
- (21) Timlinson, M. 2008. The degree is not enough” students’ perceptions of the role of higher education credentials for graduate work and employability. *British journal of sociology and education* 29 (1): 4961-.
- (22) Trwo, M. 2007. Reflections on the transition from elite to mass to universal access: forms and phases of higher education in modern societies since WW11. *International handbook of higher education*, 243280-, 2007.
- (23) Valimaa, J., Hoffman, D. 2008. Knowledge society discourse and higher education. *Higher education* 56 (3): 265285-.
- (24) Wolfensberger, W. 2000. A brief overview of social role valorization. *Mental retardation* 38 (2), 105123-.